

قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية . سورة يوسف

السُّورَةُ الْقَصَصُ

لواضعه

لستينك
على فكتك

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

الجزء الأول

يشمل

قصص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

الإهداء

إلى الأرواح الطاهرة والنفوس العالية

إلى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
أهدى كتابي هذا، وأسأل الله الكبير المتعال أن يوفقنا للعمل بسنتهم
وأن يحيينا ويميتنا على ملتهم إنه سميع مجيب الدعاء

السيد علي فكري

مصر الجديدة في يوم الاثنين

ابن المرحوم محمد عبد الله

١١ رجب سنة ١٣٥٢

الحكيم

١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقى وعليه توكلى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فإن أحسن القصص ما كان مروياً عن الأنبياء والمرسلين
والخلفاء الراشدين، وأئمة الدين والصالحين، لقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ سورة يوسف

ولقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

سورة يوسف

ولقوله تعالى : ﴿ وَكَأَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

بِهِ قُلُوبَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

سورة هود

ولما كانت القصص والروايات المنتشرة الآن في مصر بعضها مخالف

للأدب والدين ، مفسد لأخلاق البنات والبنين . لاشتمالها على حكايات
خرافية ، وأحاديث غرامية

قد دفعتني الغيرة الدينية الإسلامية، والعاطفة الوطنية المصرية والمحبة
الإنسانية، إلى أن أضع كتاباً صغيراً في القمص الدينية، التي تحث على
الفضائل . وتنهى عن الرذائل

فقلت بمعونة الله وفضله بوضع هذا الكتاب وسميته (أحسن
القمص) ليكون اسماً دليلاً عليه وقسمته الى خمسة أجزاء :

الجزء الأول والثاني : يشملان مختصر قصص الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام كما ذكرت في القرآن الكريم وعددهم ٢٥ الواجب على
كل مسلم معرفتهم وأن يعلم بقصصهم وأن يؤمن بهم

الجزء الثالث : يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم
أجمعين ومناقبهم الهادية إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال

الجزء الرابع : يشمل مختصر سير أئمة الدين والصالحين، الذين
بينوا قواعد الدين، وشيّدوا البراهين، على أساس متين، للأخذ بإرشاداتهم
والاهتداء بنورهم للفوز بالسعادتين في الدارين

الجزء الخامس : يشمل مختصر سير أمهات المسلمين، وبعض الشهيرات
من النساء المسلمات، ليكون في ذكرهن أحسن أسوة وقدوة للنساء والبنات
وقد توخيت فيه سهولة العبارة وحسن الأسلوب ليكون سهل الفهم

مناسبا لمدارك الطلاب وذلك إجابة لطلب حضرة أخينا عبد العزيز
أفندي الحلبي الكتي الشهير

والله تعالى أسأل أن يكون لهذا الكتاب ما أرجوه من الأثر الطيب
في نفوس أبناء الأمة الاسلامية فيعملوا بما فيه والله الموفق لما فيه
صلاح الحال وبلوغ الآمال

وانى لا أريد إلا الاصلاح ما استطعت وهو حسبي وكفى ما

مصر الجديدة فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٢

٢٤ يونيه سنة ١٩٣٣ السيد

على فكرى

الأمين الأول

لدار الكتب المصرية

الرسول أو الأنبياء

(صلوات الله عليهم أجمعين)

اعلم يا بني أن الله جلت قدرته، وعلت كلمته، خلق الخلق وجعل فيهم أخلاقاً حسنة تساعد على انتظام معاشهم، وصلاح حالهم، ليتسابقوا في عمارة هذا الكون، كما أنه جعل فيهم أخلاقاً سيئة ليميز الطيب من الخبيث، والمحسن من المسيء

وقد اقتضت رحمة الله بعباده أن يرسل لهم أناساً منهم يخلقوا بالأخلاق الفاضلة، واتصفوا بالصفات الكاملة، ليهدوهم ويرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم، وتقويم أخلاقهم، وتهذيب نفوسهم، وليبينوا لهم الخير لاتباعه، والشر لاجتنابه، وهؤلاء هم الرسل أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد جعلهم الله بشراً من جنسهم لينتفع بعضهم ببعض في المحادثات ولم يجعلهم ملائكة لعدم إمكان رؤيتهم ومخالطتهم ومخاطبتهم، فلا تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم

ولقد امتن الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال تعالى :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ آل عمران

وقد بين الله سبحانه وتعالى وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام
وهي : أنهم يبشرون من صدقهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى وعمل
به بالجنة والثواب . والتنعيم بالنعيم المقيم ، وينذرون من كذب بهم
وعصاهم في ذلك بالنار والعذاب الأليم ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ الكهف

وقد بين الله الحكمة من إرسالهم عليهم الصلاة والسلام ، وهي أن
يبشروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء الناس حجة ومعذرة يعتدرون
بها بعد إرسال الرسل وتبليغ الشرائع قال تعالى :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء

وقد أرسل الله هؤلاء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام بالآيات
البيّنات ، وأنزل معهم الكتب المبيّنة فيها الأحكام والمأمورين هم
بتبليغها للناس ، ليكونوا على أكمل حالات العدل والانصاف فيما بينهم ،
ويتبعوا هؤلاء الرسل فيما أخبروا به ، ويطيعوهم فيما أمرهم به قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد

وقد أيدهم الله بالمعجزات التي هي من خوارق العادات وفوق
مقدور البشر، ويميزهم بصفات سامية كريمة وهي: الأمانة فيما كلفوا به
والطاعة لله، والصدق في كل ما أخبروا به عن الله تعالى، والعصمة من
الوقوع في أي معصية صغيرة كانت أو كبيرة ليكونوا قدوة حسنة ونبراساً
لهداية الناس كافة

وقد بين جل شأنه من اصطفاة من هؤلاء الرسل وميزه عن غيره
منهم بعظم قدره، وعلو مرتبته، وأوجب الشرع معرفتهم وهم خمسة
وعشرون ذكر الله منهم ثمانية عشر في هذه الآيات وهي:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا
هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا
وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى
اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنَّبُوءَةَ بِالْإِنْعَامِ

وقد بقي سبعة وهم : آدم . وهود . وشعيب . وصالح . وإدريس .

وذو الكفل ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أما آدم، فقد ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة

وأما هود ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِن أنتم إلا مُفْتَرُونَ ﴾ هود

وأما شعيب ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود

وأما صالح ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ

فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتوبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ هود

وأما إدريس ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ

إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ مريم

وأما ذو الكفل ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ذُكِّرُوا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ

وَذَا الْكُفْلِ وَكُلًّا مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص

وأما سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ففي قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران

وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح

ف هؤلاء هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام الواجب على كل إنسان معرفتهم وأن يلم بقصصهم لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف

وأن يؤمن بهم ؛ لأن الله تعالى جعل من كمال الايمان الايمان بهم جميعاً وألا يفرق بين أحد منهم فيؤمن ببعض ، ويكفر ببعض ، لقوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَنْفُرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ النساء وأولو العزم من هؤلاء الرسل هم : نوح ، وإبراهيم الخليل ، وموسى وعيسى ، ومحمد ، عليهم صلوات الله وسلامه ، وقد خصصنا لهم الجزء الثاني من هذا الكتاب إظهاراً لفضلهم ولشدة عزيمتهم

١ - قصة آدم عليه السلام

أبو البشر

اعلم يا بنى أن الله تعالى أوجد العالم من العدم ، فبعد أن خلق الأرض ، وجعل فيها كل ما يقوم بأمر الحياة ويصلح للعمران ، اقتضت حكمته تعالى أن يخلق فيها النوع البشرى الإنسانى ويهب له من قوى العقل ومواهب الإدراك ما يصلح معه لأن يكون خليفة الله فى أرضه على سائر الكائنات التى هى دونه تكميلاً وتنظيماً لنظام الكون

فأول من خلق من البشر (آدم عليه السلام) وسمى بهذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى خلقه بيده من أديم الأرض أى من ترابها وصوره وجعله بشراً سوياً ونفخ فيه الروح وأمر الملائكة بالسجود له لقوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ص . سويته (أى جعلته على هيئة الإنسان)

وفى آية أخرى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ

حَمًا مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَانْفَحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ
سَاجِدِينَ ﴿ الحجر

« من صلصال ، أى من طين يابس إذا ضرب عليه يصلصل أى
يصوت . ومن حمًا مسنون ، أى من طين أسود مصبوب »
ولقد خلق الله آدم فى أحسن صورة وأجمل قوام لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين

وقال الله سبحانه وتعالى للملائكة : إني متخذ فى الأرض خليفة
ليقوم بعارتها وتتميم نظامها ، فلما علموا ذلك وأدركوا أن الانسان بطبيعته
مجبول على الفساد سألوا الله من قبيل التعلم لامن قبيل الاعتراض عن
حكمة تفضيل الله إياهم فى إسناد الخلافة اليه مع قيامهم بعبادته
وطاعته أحسن قيام كما قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة

فأجابهم الله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة
ثم أوحى الله إلى قلب آدم كل ما هو مستعد له النوع الانسانى من
الرقى الصورى والمعنوى وألهمه الأشياء بأسمائها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

كَلِمَاتٍ وَأَمْرَهُ بَانَ يَسْرِدَهَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَظْهَارًا لِاسْتِعْدَادِ نَوْعِهِ لِلْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا

وَامْتَحَنَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ إِذْ يَقُولُ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فِي أَنْكُمْ أَحَقُّ بِالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ وَأُولَى مِنْ آدَمَ الَّذِي هِيَ آتَةٌ لَهَا وَأَعَدَدَتْهُ لِمَنْصِبِهِ الرَّفِيعِ

فَلَمَّا عَجَزَ الْمَلَائِكَةُ عَنْ ذَلِكَ اعْتَرَفُوا بِقُصُورِهِمْ وَوَقَفُوا عِنْدَ حُدُومِهَا
﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ الْبَقَرَةُ

فَقَالَ لآدَمَ : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ الْبَقَرَةُ

فَكَانَ ذَلِكَ تَذْكَيرًا لَهُمْ بِشَأْنِ الْعِلْمِ وَرَفْعًا لِقُدْرِهِ وَإِعْلَانًا بِكِرَامَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ الْإِسْتِخْلَافَ فِي الْأَرْضِ وَمُنَافِهِمِ الْمَلَائِكَةَ حِكْمَةَ التَّفْضِيلِ وَأَنَّهُمْ لِأَقْبَلِ لَهُمْ بِمُخْلَافَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلِاسْتِغْثَالِ بِالْأُمُورِ الْمَسَادِيَةِ أَطَاعُوا أَمْرَ اللَّهِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَعْظِيمٍ لِاسْتِجْوَادِ صَلَاةٍ وَعِبَادَةٍ فَسَجَدُوا

إِلَّا إِبْلِيسَ فَانْهَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة
ولما سأل الله تعالى إبليس عن سبب امتناعه عن السجود لآدم
عليه السلام :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ص
وقال له في آية أخرى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
الأعراف

فأخذ إبليس يخلق لنفسه الأعذار الباطلة والحجج الواهية وقال :
﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الأعراف
و﴿ قَالَ لِمَ أَكُنْ لِيَ سَاجِدًا لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ
مَسْنُونٍ ﴾ الحجر

وسمى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أي يئس وزعم بكبره
وضلاله أن النار أقوى من الطين والفخار

ولما ظهر خبث إبليس اللعين بتكبره عن طاعة أمر ربه وأمتناعه

عن السجود لآدم عليه السلام أمره بالهبوط من الجنة (أى النزول منها) وقال له : ليس لك أن تتكبر فيها وتخرج عن طاعتي وأمرى لأنه لا يسكن الجنة متكبر وعاص لأمر ربه كما قال تعالى :

﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ الأعراف

ثم قال له : اخرج منها صاغراً ذليلاً

﴿ فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ الأعراف

وقال له فى آية أخرى :

﴿ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾

الحجر

فخرج ابليس من الجنة مطروداً مردولاً، ورجمه الله باللعة الساحقة فكان من ذلك الحين الشيطان الرجيم، والمخلوق الخبيث اللئيم الذميم ، بعد أن كان ملكاً كريماً، وأصبح معدن كل شر، ومنبع كل خبث وفساد، بين العباد

ثم طلب من الله أن يمهله ولا يعاقبه على ما فعل الى يوم البعث والنشور داعياً ربه :

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الأعراف

فأجابه الله بأنك من المهلين كما قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال إبليس لربه : يارب بسبب ما أضللتني لأقعدن لهم مترصدا على طريقك المستقيم (وهو دين الحق) ثم لا تبينهم من جميع جهاتهم بالتسويل والاضلال فلا تجدا أكثرهم مطيعين شاكرين لأنعمك :

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَبِينَ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ الأعراف

قال الله لإبليس : اخرج من الجنة مذموما مطرودا وذلك قوله في كتابه تعالى :

﴿ قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ الأعراف

ووعده الله بني آدم بأن من اتبع عدو الله إبليس وأطاعه وصدق ظنه أن يملا جهنم من جميعهم ومن إبليس وذريته بقوله :

﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال إبليس : رب بسبب ما أغويتني لأزين لهم الأمور الأرضية والميول الشهوانية ، ولأضلنهم أجمعين غدا إلا عبادك الذين أخلصتهم طاعتك فلا سلطان لي عليهم كما بين سبحانه بقوله :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ الحجر

قال الله تعالى : ان تخايصهم هذا من إغوائك حق على أن أراعيه لا أعدل عنه، فان عبادى ليس لك عليهم سلطان فسلطانك ينحصر فيمن اتبعك من الضالين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، يتجلى ذلك من قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ الحجر

«ملاحظة لا يظن إنسان أن الله سبحانه وتعالى كان يخاطب الملائكة وإبليس وجها لوجه فهذا مستحيل؛ لأن الله جلّ وعلا لا يرى للملائكة ولا لإبليس ولا يستطيع كائن من كان أن يجادله وأن يخاطبه وإنما أراد الله تصوير ما فعله للملائكة والشيطان حيال آدم وما جاش بصدورهم عنه فأتى بتلك الآيات «

ولما أسبغ الله تعالى على آدم عليه السلام من واسع فضله وجزيل عطائه وكرمه، وأسكنه الجنة كان يقيم فيها وحيداً لا جليس ولا أنيس له فأقتضت إرادة الله أن يخلق (حواء) من أحد أضلاعه اليسرى لتكون زوجاً له (وسميت حواء لأنها خلقت من شئٍ حى) وقد خلقها الله تعالى لتسكن إلى آدم ويسكن إليها ويأنس بها وذلك قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف

وقد وضع الله في قلوبهما من المودة والرحمة ما به يتم لها السعادة في
اجتماعهما لقوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم

ولما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما أن
يرتعا فيها حيث شاءا وبأ كلاً من ثمارها ما طاب لهما، ونهاهما عن الأكل
من شجرة واحدة (الله أعلم باسمها وحقيقتها) وقد ابتلاهما الله بالنهي
عنها وتحريمها اختباراً وامتحاناً لآدم بخطئ هذه الشجرة ليكون ذلك
سبيلاً لنفاذ قضائه وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة

فكانت هذه الشجرة حيلة الشيطان التي زينها لآدم وزوجه عليهما
السلام فأغراها بها وقال : يا آدم هل أدراك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى ؟ قال آدم عليه السلام : نعم

قال إبليس اللعين له : كل من هذه الشجرة . فقال آدم عليه السلام :

بهاتى ربي عنها . فقال إبليس : مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن
تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى آدم أن يقبل منه
فأخذ إبليس اللعين يبذل ما في وسعه ، ويسلك كل سبيل الى تحسينها
في عينيها ، وما زال بهما حتى اغترا بقسمه أنه لهما من الناصحين .
ونسى آدم عليه السلام ما كان من فعلة إبليس معه حين أبى السجود
له إطاعة لأمر ربه ، ونسى أيضا وصية ربه وظن أن الأكل من هذه
الشجرة هو الذي سيجعلهما من الخالدين ، وتلك سنة الله في آدم وسنته
من بعده : الأمل الطويل في الحياة ، والرغبة الأكيدة في طول الأجل ،
وذلك قوله تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَانِهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ
الْمُنَاصِحِينَ ﴾ الأعراف

فلما ذاقا الشجرة بدت لها سواتهما ، وطفقا يخلصان عليهما ، أى يجهمان
عليهما ، من ورق الجنة ليواريا به سواتهما ويعطيان مابدا من عورتهم ، التي
كشفتها بمعصيتهما الربهما ، واغترارهما بنصح عدوهما الشيطان ، وكذلك يفعل

الشیطان مع بنی آدم یغشهم ، ویغویهم بکذبه وبهتانہ ، فیظنون غشه
نصحاً ، وكذبه وبهتانہ صدقاً وحقاً . قال تعالیٰ :

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

مِنَ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف

فلما وقع بآدم وزوجه من مصيبة المعصية ما وقع ناداهما ربهما قائلاً :
ألم أنهما عن تلكما الشجرة ، ألم أقل لكما إن الشيطان لهما عدو مبين
قال الله تعالى :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف

فلما ناداهما بهذا النداء أفاقا عندئذ من الغشية ، وانتهيا من الدهول ،
وذكرا بعد النسيان ، وعلموا أنه لانجاة من الله ، ولا مفرع إلا إليه فقالا :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف

وكذلك الشأن في العقلاء من بنى آدم كما قال الله في وصفهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا

فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ الأعراف

ولما كانت الجنة دار الأتقياء البررة الطاهرين من كل رجس

وعلى حواء بمشقات **الحمل والولادة**

وكانت حواء تلد كل بطن ذكراً وأثني ، فكان كل ذكر من
بطن يتزوج **اللاهي** من بطن آخر ، وولدت منه كثيراً من الأولاد .
وماتا بعد أن عاش آدم نحو الف سنة

روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق آدم
يوم الجمعة ، وفيه أهبط الى الأرض ، وفيه تاب عليه ، وفيه توفي
فلما حضرته الوفاة بعث الله اليه بجنوطه وكفنه من الجنة ، فلما
رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم اليه فقال لها : خلى عني
وعن رسل ربي ، فاني ماقيت ماقيت إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني
الإمناك ، فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه في وتر من الثياب
ثم لحدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده

وقيل دفن بالهند ، وقيل دفن بمكة في غار أبي قبيس
وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت ودفنت معه والله أعلم

٢ - قصة إدريس عليه السلام

إدريس عليه السلام، هو جد أبي نوح كما رواه البخارى، وهو أول من أعطى النبوة من بنى آدم فيما زعم ابن اسحق، وأول من خط بالقلم وكتب الصحف، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وأول من ركب الخيل وجاهد فى سبيل الله، ونظر فى علم النجوم والحساب، والحكمة والمنطق، وأسرار الفلك، ورسم عمارة المدن، وسمى إدريس لكثرة درسه الكتب وصفح آدم وشيث عليهما السلام

وأول من قطع الثياب وخاطها ولبس الخيط، وكان قبل الناس يلبسون جلود الحيوانات، وكان لا يففل عن ذكر الله أثناء خياطته، وهو الذى سمي المثلث؛ لأنه ملك وحكيم ونبي

وقد أرسله الله تعالى لبنى قاييل حيث اتبعوا آباءهم فى الفجور حتى أدى فجورهم إلى عبادة الأصنام، وأمر إدريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قاييل، وفى زمانه عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام، وقد خصص إدريس ثلاثة أيام فى الاسبوع يأمر فيها بنى قاييل وبنهاهم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث عليهما السلام فأمره الله تعالى أن يقاتلهم، وكان ذا قوة وبأس

شديد ، ولذا سموه هرمس الهرامسة أى أسد الأسود
وقد أعطاه الله درجات عظيمة فى الدنيا والآخرة
وقال الله تعالى لخاتم أنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :
(وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ
مَكَانًا عَلِيًّا) مريم

أى اذكريا محمد فى هذا القرآن الذى أوحينا اليك به أن إدريس
كان صديقًا لايقول الكذب (نبيا) نوحى اليه من أمرنا مانشاء
(ورفعناه مكانًا عليًا) أى مكانًا عاليًا من الكمال

وقال بعض المفسرين لما كشفت له أسرار الملكوت واشتاق الى
الملا الأعلى أكرمه الله برفعه الى السماء الرابعة ، وقيل : بل إلى
السماء السادسة

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه رفع الى السماء السادسة .
والله تعالى أعلم

وقال ابن عباس رضى الله عنهما أربعة من الأنبياء أحياء وهم :
إدريس وعيسى فى السماء ، وإلياس والخضر فى الأرض ، وكلهم
يموتون إلا إدريس فانه اذا مات الخلق يبق حيا . وقيل هو الذى يجيب
الله تعالى اذا مات الخلق وقال : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ﴾ فيقول
إدريس : (لله الواحد القهار)

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ
الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء .

وقد روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :
فلما مرَّ جبريل عليه السلام في ليلة الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم
بإدريس قال : مرحبا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح : فقلت من هذا ؟
قال هذا إدريس

وروى مسلم وأبو داود والنسائى عن معاوية بن الحكم السلى قال :
قلت يا رسول الله ومنا رجال يخطون ؟ قال : كان نبى من الأنبياء
يخط فمن وافقه خطه فذاك

قيل هذا النبى : هو إدريس عليه السلام ، وكان يخط في الأرض
خطوطا يستخرج منها علوما ومعارف بتعليم الهى فوافقه الآن مستحيلة
فالخط أو الحرف الذى يسميه العامة ضرب الرمل حرام لأنه دجل
وكذب ورجم بالغيب

والله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، وهو
علام الغيوب

٣ - قصة نوح

مذكورة في الجزء الثاني مع أولى العزم من الرسل

٤ - قصة هود عليه الصلاة والسلام

سيدنا هود عليه الصلاة والسلام هو نبي من نسل سام بن نوح عليه السلام ، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم عاد ، وهم قوم كانوا يسكنون الجبال في أرض الأحقاف ، وهي تقع في شمال حضرموت من بلاد اليمن ، وكانوا ماهرين في العمارة فبنوا في بلادهم أبنية لطيفة متينة ، وكانوا يعبدون الأوثان من دون الله تعالى كما كان من قبلهم قوم نوح يعبدون الأصنام ، فدعاهم هود إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس قائلاً لهم :

يا قوم ، اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، واعلموا أنه مالكم من إله غيره ، ولا معبود سواه ، فأخلصوا له العبادة ، واعلموا أنكم في إشراركم مع الآلهة والأوثان مفترون مكذبون تختلقون الباطل .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَّا لَكُمْ مِن إِلَٰهِ غَيْرُهُ إِنَّكُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ هود

وكان هو يبين لهم أنه لا يطلب على نصيحته لهم أجراً يأخذه منهم .
وأنه لا يطلب الأجر على ذلك إلا من الله تعالى الذي خلقه ويقول
لهم : افهموا وتعقلوا أتى لو كنت أبتغى بدعايتكم إلى الله غير النصيحة
وطلب السعادة لكم في الدنيا والآخرة لالتمت منكم على ذلك بعض
أعراض الدنيا وطلبت منكم الأجر والثواب

قال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى
الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ هود

ثم أخذ يقول لهم : إن الواجب عليكم أن تتقوه ، وأن تتوبوا إليه
وأن تستغفروه ، حتى يرسل عليكم المطر من السماء ، يدرث لكم الغيث
وقت حاجتكم إليه ، فتحيا بلادكم من الجذب والقمحط ، ويرزقكم المال
والبنين ، فتزداد قوتكم وسعادتكم فلا ترجعوا عما دعوتكم إليه من
توحيد الله ، ولا تكونوا مجرمين كافرين بالله .

قال تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴾ هود

وكان في قوم عاد ناس قد عتوا ورأوا كبراً على أنفسهم أن يمتنعوا
عن عبادة الأوثان ، وغلبت عليهم الشقاوة والكفر ، وكانوا الجمهور

الأعظم ، فسفهوا هوداً وكذبوه ، ولم يأخذوا بأقواله ، وقالوا له : إنا
انتراك في سفاهة ونظن أنك من الكاذبين

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف

ثم قالوا له : ياهود ماجئتنا ببيان ولا برهان على صحة ماتقول ، فنسلم
لله وتقرّ بأنك صادق فيما تدعوننا اليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوتك
ونحن لاترك آلهتنا لمجرد قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ومصديقين بما
تدعى من النبوة والرسالة

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي
آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ هود

فراجعهم هود وقال لهم : ليس بي سفاهة ، ولكني رسول من رب
العالمين ، لأبلغكم رسالة ربي ، وما كان الله ليرسل الى عباده بسفيه
يكون الضرر برسالة أكبر وأعظم من النفع بها ، وإني لكم ناصح
أمين ، وأخلص الناصحين ، فاقبلوا نصيحتي فاني أمين على وحي الله
وعلى ما ائتمنتني الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا أزيد عليه
ولا أبدل

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿ الأعراف
ثم قال لهم : هل أخذتم العجب أن الله أنزل وحية بتذكيركم
ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة على رجل منكم لينذركم بأس الله
ويخوفكم عقابه ؟

قال تعالى : ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ الأعراف

وذكركم هود ما حل بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم
وكفروا بربهم وقال لهم : إن الله جعلكم خلقاً في الأرض بعد قوم
نوح لما أهلكنهم ، فاتقوا الله وخافوا أن يحل بكم ما حل بهم من العقوبة
فيهلككم ، ويبدل منكم غيركم ، سنته في قوم نوح قبلكم ، على معصيتكم
إياه وكفركم به ، مع أنه زادكم في الخلق بسطة ، فزاد في أجسادكم طولاً
وعرضاً وعظماً ، على أجسام قوم نوح ، وفي قوامكم على قوامهم نعمة منه
بذلك وفضلاً عليكم ، فاذكروا نعمة الله وفضله ، واشكروا الله على ذلك
باخلاصكم العبادة له ، وترك الشرك به ، وهجر الأوثان والأنداد
لعلكم تفلحون ، فتنالوا البقاء والخلود في دار النعيم في الآخرة

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ الأعراف

فقالوا لهود : أحيثنا تتوعدنا بالعذاب من الله على ما نحن فيه من الدين كي نعبد الله وحده، وندين له بالطاعة خالصاً، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام، التي كان آباؤنا يعبدونها، ونتبرأ منها، فلسنا فاعلين ولا متبعين دعوتك، فإن كنت صادقا فيما تدعيه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الأعراف

فأجابهم هود : لقد حل بكم سخط وغضب من الله، هل تجادلونني في الأصنام التي سميتوها أنتم وآباؤكم وهي لا تضر ولا تنفع ؟ وما جعل الله لكم في عبادتها من حجة ولا معذرة ، لأن العبادة لا تكون إلا لمن ضر ونفع، وأثاب على الطاعة ، وعاقب على المعصية ، وورق ومنع ، فأما الجهاد من الحجارة والحديد والنحاس ، فإنها لا تضر ولا تنفع ، فانتظروا حكم الله فينا وفيكم، إني معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضاة

قال تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ الأعراف

ازداد قوم هود في تكذيبه، واتهموه في عقله، وقالوا له : إن الذي

حملك على ذم آلهتنا، والنهي عن عبادتها، هو أن يكون قد أصابك منها خبل وجنون، فأنت عندنا في حكم أهل العته والجنون

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ هود

سمع هود ذلك منهم فقال لهم: إني أشهد الله تعالى وأشهدكم إني برئ من تلك الآلهة التي تزعمون أن لها القدرة على أن تمسني بسوء، فاحذوا أنتم جميعاً وآلهتكم في ضرري وإيذائي، ثم انظروا هل يمكنكم أن تصيبوني بسوء، كما تزعمون أنه أصابني سوء من آلهتكم

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا

تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ هود

واعلموا بأني متوكل على الله الذي خلقني وخلقكم، وواثق بأنه

لا يصيبني منكم أو من غيركم سوء بغير إذنه، فانه ليس من شيء يدب

على وجه الأرض إلا والله مالكة، وقابض على ناصيته، وتحت سلطانه،

ذليل خاضع له، وأنه المقيم على جميع خلقه، عادل في حكمه، يجازي

المحسن بإحسانه، والمسيء بأساءته، لا يظلم أحداً منهم شيئاً، ولا يقبل منهم

إلا الإسلام والإيمان

قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا

هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود

ثم أعلنهم هود عليه السلام بأنهم إذا تولوا وأدبروا معرضين عما يدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان ، فإنه قد قام بالواجب من إبلاغهم رسالة ربه (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) وأن الله تعالى بعد ذلك سيهلكهم وَيَسْتَخْلِفُ قَوْمًا غَيْرَهُمْ يوحدونه ويخلصون له العبادة، وأنهم لا يضرونه شيئاً، إذا أراد إهلاكهم، فهو الحفيظ على كل شيء وكل شيء في قبضته وقدرته

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴾ هود

لم يزل هود ينصح لقوم عاد ، ويعلمهم أنه رسول أمين ، ويحذرهم ويقول لهم : ألا تخافون الله، وتحسبون لبطشه حساباً ، ويكرر القول لهم : أن اتقوا الله وأطيعوني ، وما أسألكم على هدايتكم للطريق القويم أجراً ، فإن أجرى على الله رب العالمين . أتبنون بكل طريق أعلاما للعبث، لأنكم في غير حاجة إليها ؟ وتتخذون قصورا فخمة لسكناكم رجاء أن تعيشوا فيها مخلدين . وإذا أخذتم قوماً في حرب أو بقصد فتح أو غزو أخذتموهم بعنف الجبابة وقسوة النماردة فاتقوا الله وأطيعوني وخافوا الله الذي أمدكم من النعم بما تعلمونه أمدكم بمواشٍ وأولاد وجنات

تحيط بها العيون الكثيرة الغزيرة المباه . إني أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم الأهوال شديد المخاوف

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ
أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا نِوَامَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَحْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ اتَّبِعُونِ بِكُلِّ رِيحٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ
بَطَشْتُمْ جَمَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا نِوَامَا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا
تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء

فقالوا له : إنا لدعوتك مكذبون ، سواء علينا أوعظتنا أم لم تكن من
الواعظين ، وما الذي نحن عليه من الأخلاق والعادات إلا خلق
الأولين وعاداتهم ، جرينا وجرى الناس عليها ، وما نحن بمعذبين عليها
كما تذرنا به

قال تعالى : ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء
(م - ٣)

فلما استكبر قوم عاد على ربهم ، وعصوا رسوله هوداً ، وتجبروا في الأرض ، تكبراً وعتواً بغير ما أذن الله لهم به وقالوا: مَنْ أشد منا قوة؟ وكانوا بآيات الله يمجحون ، ولم ينظروا أن الذي خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق ، وشدة البطش ، هو أشد منهم قوة وبطشا فيحذروا عقابه ويتقوا سطوته لكَفَرهم به وتكذيبهم رسله وحجدهم بآياته، أرسل عليهم ريحاً صرصراً، أى ريحاً شديداً، في أيام نحسات (أى أيام مشثومات متابعات) أذاقهم فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا وأعد لهم في الآخرة عذاباً أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالاً فلا ينصروهم الله يوم القيامة ولا ينقدهم منه

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ فصلت

وقد أرسل الله عليهم الريح الشديدة في مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، وأهلكهم عن آخرهم، فلم تبق منهم أحداً، وكان القوم فيها

صرعى، مذهولين مما أصابهم، وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل خاوية
(أى أصول نخل قد خوت) فلا يرى لها من أثر

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ الحاقة

وهؤلاء القوم الذين جحدوا بأدلة الله وحججه، وعصوا رسله
واتبعوا كل جبار عنيد، قد أحل الله بهم تقمته، واستحقوا لعنة الله
وغضبه، وسخطه في الدنيا، وسيتبعهم يوم القيامة لعنة مثلها؛ لأنهم
كفروا بنعمة ربهم، فأبعدهم الله من الخير

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادُ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ
وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدْءًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ هود

وصار يضرب بهم المثل في شدة العذاب حيث يقال :
(ألم تر كيف فعل الله بينى عاد أصحاب ارم ذات العماد) أى
رفيعة القدر التى لم يوجد مثلها فى البلاد

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر

ولقد نجى الله تعالى هوداً والذين آمنوا معه برحمة من ذلك
العذاب الغليظ في الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الأولى ؛ وأما عاد الثانية فهم
سكان اليمن من قحطان وسبأ

ويقول أهل حضرموت: إن هوداً عليه الصلاة والسلام سكن بلاد
حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات ودفن في شرق بلادهم على
بضعة مراحل من مدينة تريم ، والله أعلم

العبرة من قصة هود عليه السلام مع قوم عاد

يستخلص من قصة هود عليه السلام، أنه كان انساناً وقوراً رزيناً
يزن الكلام قبل القائه ، ونه كان رجلاً حليماً كريماً ، لا يقابل الشر بمثله
بل يستعمل اللين في كلامه، مع قومه والتلطف في إسداء النصيحة الخالصة
لهم، ابتغاء وجه الله لا يريد جزاء ولا شكوراً

وأنه كان حكيماً في تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم ، وترغيبهم في

الإيمان ودعوتهم إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
مبيناً لهم ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من أموال وبنين وبساتين وأنهار ، وأنه زادهم بسطة في الخلق ، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وأن إيمانهم يستوجب رضا الله تعالى عنهم ، فيرسل السماء مدراراً لسقى زروعهم وانبات الكلاً ، وأنه تعالى يزيدهم قوة إلى قوتهم وعزاً إلى عزهم

وأنه مع مشاكستهم له ، وافترائهم عليه ، وتكذيبهم إياه ، ورميهم إياه بالجنون والسفه ، لم يزد في جوابه على أن قال لهم : لم يكن بي سفاهة واني أشهد الله ، وأشهدكم أيضاً اني بريء مما تشركون ، وان اعتمادي وتوكلي على الله ربي وربكم ، القابض على كل شيء ، والآخذ بناصية كل دابة على وجه الأرض

ان الذي يتولى عظة الناس وارشادهم والنصح لهم ، ينبغي أن يكون مثل سيدنا هود عليه السلام في سعة الصدر والتسامح ، وعدم مقابلة الشر بمثله ، وتحمل الأذى رجاء أن يظفر ببغيته ، ويفوز بهدایتهم أو هداية بعضهم ، وأن يكون جوابه عند اليأس والفشل بعد بذل الجهد

واستنفاد أساليب الترغيب والنصح والارشاد ما قاله هود عليه السلام
انى قمت بالواجب على من تبليغ رسالات ربي، وما على الرسول إلا
البلاغ، وان ربي على كل شئ حفيظ، فهو القادر وحده على أن
يستخلف قوما غيركم ولا تضرونه شيئاً

أما عاد الذين كفروا بربهم وعصوا رسوله هوداً فكانت عاقبتهم
المهلك والدمار واستحقوا عذاب الله ولعنته ونقمته

ه - قصة صالح عليه الصلاة والسلام

سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن جابر بن ثمود
وثمود هي القبيلة التي سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن إرم بن
سام بن نوح

وكانت مساكنهم (بالحجر) وهي المعروفة (بمداين صالح) بين
الحجاز والشام في الجنوب الشرقي من أرض مدين وهي مصابة
(أي مجاورة) لخليج العقبة

وكانوا يتخذون من الجبال بيوتاً، وكانوا يبدون الأصنام كقوم عاد
فأرسل الله إلى ثمود أخاهم صالحاً من أوسطهم نسباً وأكرمهم حساباً
فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة
دون ما سواه من الآلهة ، فما لكم من إله غيره ، وهو الذي أنشأكم
من الأرض ومنحكم من القوى الجسدية والعقلية ما يمكنكم من عمرانها
فاستغفروه من ذنوبكم ، ثم توبوا إليه فانه قريب الرحمة مجيب لمن دعاه

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَالَكُمْ مِنْ إِيَّاهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ هود

فقالوا له : يا صالح لقد كنت فينا قبل هذا محل رجائنا ، لما نرى

فيك من علامات الحكمة وإصالة الرأي ، أتنبأنا أن نعبد ما كان يعبد
آباؤنا إننا لنفي شك مما تدعوننا إليه إنه يوجب الريبة

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا
أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
مُرِيبٌ ﴾ هود

فقال لهم : يا قوم خبروني ، هل لو كنت على برهان وبيان من الله
قد علمته وأيقنته وآتاني النبوة والحكمة والإسلام ، فمن ينصرتني من
الله إن عصيته؟ فما تزيدونني بنصرتكم إياي لو عصيت إلا خسارا

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴾ هود

ثم أخذ صالح يمحض لهم النصيح ويقول لهم : يا قوم ألا تحشون
ربكم فتطيعوا أمره وتعبدوه؟ إني لكم منه رسول أمين عليكم ، حفيظ
على مصالحكم ، فاحذروا الله وأطيعوني ، ولست بظالم بكم بجهل أو أجر
على صلاح أموركم ، فما أجرى إلا على رب العالمين ، أذيل لكم أنكم
تهملون في دياركم آمنين ، وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر والظلم المبين
وتتركون راتعين في جنات وعيون وزروع ونخل ثمرها لطيف بين ،

وتنحتون من الجبال بيوتا نشيطين ، فحافوا الله وأطيعوني ولا تتبعوا
وسوسة المسرفين على أنفسهم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون
قال تعالى : ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ
صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْتُمْ كُونَ
فِي مَا هُمْنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَائِفًا هُضُبًا
وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا
تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

الشعراء

قالوا له : إنما أنت من الذين سحروا مرات متعددة ففسد عقابهم
وما أنت إلا رجل مثلنا، فأنت بمعجزة إن كنت من الصادقين
قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الشعراء

فقال لهم : معجزتي هذه الناقة التي أخرجها الله دليلا على نبوتي
وصدق مقالتي ، وهي من المعجزات التي لا يقدر على مثابها إلا الله؛ لأنه
خلقها على خلاف سنته تعالى في خلق الابل وصفاتها ، إذ لم يخلق في
الابل سواها ناقة تختص بالشرب يوما . وأهل ذلك الماء يوما آخر ،

وتعرف يومها الخاص ولا تقرب الماء في يوم أهلها. فلا تمسوها بسوء وإلا
حاق بكم العذاب

قال تعالى: ﴿ قَلْ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ
مَعْلُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء
ثم أخذ يحذرهم بالآي يتعرض أحد من ثمود لهذه الناقة وألا يمسه
بسوء في نفسها ولا في أكليها ولا في شربها في الماء الخاص بها الذي
كان قسمة بينهم وبينها، وأنذرهم بالوعيد والعذاب الشديد الذي يحل
بهم متى اعتدوا عليها في أحد هذه الأشياء

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف

وبذل صالح الجهد في تذكيرهم بأنهم خلفاء من بعد قوم عاد، وأن
الله أنزلهم في الأرض وجعل لهم فيها مساكن وأزواجا يتخذون من
سهولها قصورا، وينحتون من الجبال بيوتا، وذكرهم بنعمة الله عليهم،
وحذرهم بالآي يعيشوا في الأرض مفسدين، وألا يتكبروا عن عبادة الله
قال تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ

فِي الْأَرْضِ تَنْخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا
فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٤٤﴾ الأعراف

فقال السادة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباعه والإيمان
بالله وبه للذين استضعفوا من أتباع صالح والمؤمنين به : أتعلمون أن
صالحا مرسل من ربه أرسله الله الينا واليك ؟

قال الذين استضعفوا وآمنوا بصالح : انا بما أرسل الله به صالحا من
الحق والهدى مؤمنون مصدقون مقرون أنه من عند الله وأن الله أمره به
فقال المستكبرون : إنا أيها القوم بالذي آمنتم به كافرين ومنكرون
الذي جاء به ولا نصدقه ولا نقره

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
اسْتَضَعُّوْا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤٥﴾ الأعراف

وأمسكوا الناقة التي أمرهم الله ألا يمسوها بسوء ففعلوها ، أي نحروها
متجاوزين حدود الله وأوامره ، وقالوا لسيدنا صالح : ائتنا بما توعدنا به
من العذاب إن كنت من المرسلين

قال تعالى ﴿ فَعَقَرُوا الذَّقَةَ وَعَتَمُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
بِأَصَالِحِ أَثْنَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف

فقال لهم : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ثم بعد ذلك ترون عذاب
الله ؛ وهذا وعد غير مكذوب ، فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة والصيحة
التي زعزعتهم وحركتهم للإهلاك ، فأصبح الذين أهلكهم الله من ثمود في
دارهم أى في أرضهم التي هلكوا فيها خامدين هامدين لا يتحركون

قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَائِمِينَ ﴾ الأعراف

فأعرض عنهم صالح وقال لهم : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي
وأديت إليكم ما أمرني به ربي ، ونصحت لكم وحذرتكم بأسه وبطشه
باقامتكم على كفركم به وعبادة الأوثان ؛ ولكن لا تحبون الناصحين
لكم في الله

قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف

ولما جاء ثمود عذاب الله ، نجى صالحاً والذين آمنوا معه برحمة
وفضل من الله ، ومن خزي ذلك اليوم ، فإن الله هو القوى العزيز ،
فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرِّحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود

وقيل : ان الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين ، وأنهم ذهبوا
الى الرملة ونواحي فلسطين ، ويقول أهل حضرموت : أنهم ذهبوا الى
حضرموت وأقاموا بها ؛ لأن أصلهم من تلك الناحية ، ولأنهم من أهل
الأحاف ، وهناك قبر يزعمون أنه لصالح عليه السلام ، وبعضهم يقول :
أنهم ذهبوا الى مكة وأقاموا بها الى أن ماتوا ، والله ورسوله أعلم

٦ - قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام

مذكورة في الجزء الثاني

٧ - قصة لوط عليه السلام

لوط عليه السلام هو ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد هاجر معه من أرض بابل الى أرض الشام المباركة لقوله تعالى :

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء

وهي الأرض المقدسة التي بعث الله منها أكثر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين

وقد أرسله الله تعالى الى أرض (سدوم) وكانت أرض كفر وفواحش ، وكان قوم لوط من المجرمين الفاسقين ؛ وكانوا يقطعون الطريق على السابلة ، وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحًا ، ولا يرتعبون في حسن ، كما قال الله تعالى :

﴿ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت

وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم اليه أحد من الخلق ، وذلك أنهم كانوا يأتون الذكور شهوة من دون النساء يستعلنون بذلك

ولا يستترون ، ولا يرون في ذلك سوءاً أو قبحاً ، وأن لوطاً عليه السلام قد وعظهم ونصحهم ونهاهم عن هذا الفعل الذميمة ، وخوفهم بأس الله تعالى وبطشه ، ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يسمعوا لقوله ولم يرتدعوا فلما ألح عليهم بالمعظات والإنذار هددوه تارة بالرجم ، وطوراً بالاعراج من بينهم الى أن جاء الى لوط الملائكة

فلما جاءت الملائكة لوطاً ساء مجيئهم ، فضاقت بهم ذرعا ، لأنه علم أنه سيحتاج الى المدافعة عن ضيوفه ضد قومه المجرمين ، ولذلك قال في نفسه : هذا يوم عصيب أى يوم شديد

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود

وأقبل قومه اليه مسرعين طالين ضيوفه الحسان ليفعلوا بهم الفاحشة كما هي عادتهم من قبل ، فقال لهم : يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فتزوجوا بهن (وأراد نبي الله أن يقي أضيافه بيناته ذكر بعض المفسرين أن البنات هنا لسن بناته لصلبه بل يريد البنات من جميع أمة الدعوة يعرض التزوج منهن شرعاً ، إن كنتم فاعلين ، وهذا خير لكم عما تريدون من الفاحشة من الرجال ، فاخشوا الله واتقوه ، ولا تفضحوني في ضيفي ولا تذلووني باتيان السوء معهم ، أليس فيكم رجل عاقل رشيد يعرف الحق وينهى عن المنكر ؟

﴿ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ
فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ هود

فأجابوه : لقد علمت يا لوط إن بناتك لسن لنا أزواجا بحق ،
وأنت تعلم ما نريد إنا نريد الرجال لا النساء

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَانْرِيذٌ ﴾ هود

فلما لم يتناهاوا عن غيهم ، ولم يردعهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما
عرض عليهم من أمر بناته ؛ قال لوط : لو أن لي بكم قوة ؟ أى لو أن
لي أنصار تنصرني عليكم ، وأعاون تعينني ، أو آوى الى ركن شديد ،
أو أنضم الى عشيرة مانعة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم به
تريدونه منى فى أضيافى

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ هود

وقيل : إن لوطا لما قال ذلك وجدت الرسل عليه وتكدرت وقالوا :
إن ركنك لشديد

وقالت الملائكة للوط لما سمعوا هذا القول منه ، ورأوا مالتقى من
الكرب بسبيهم : إنا رسل ربك أرسلنا لأهلاكم ، وأنهم لن يصلوا

إليك بسوء ، ولا الى ضيفك بمكروه ، فهون عليك الأمر ، فأخرج
من بين أظهرهم أنت وأهلك في جوف الليل ، ولا يلتفت أحد منك
إلا إمرأتك ، فانه سيحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم ، لأنها
كانت كافرة غير مؤمنة (والتفت اليهم وأعجبها حسنهم) وأن موعد
هلاكهم الصبح . فاستبطأ ذلك لوط ، وطلب منهم تعجيل الهلاك ،
فقالوا له : أليس الصبح بقريب ؟ وذلك قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِطَعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ إِذْهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود

ولما جاء أمر الله بهلاكهم جعل على قريتهم سافلها ، وأمطرها
حجارة من (سجيل) أى من طين (منضود) أى متتابع بعضه إثر
بعض (مسومة) معاملة عند الله . فأهلكها بمن فيها وما حولها من
المؤتفكات ، ونجى الله لوطا ومن معه من أهله إلا إمرأته فانها هلكت
فيمين هلك وذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بَبَعِيدٍ ﴾ هود

٨ - قصة اسماعيل عليه السلام

جاء في قصة سيدنا ابراهيم الخليل أن زوجته السيدة الطاهرة (سارة) كانت عاقراً لاتلد ، وكان ملك مصر قد أعطاها جارية مصرية اسمها (هاجر) فوهبها له ، فولد منها (اسماعيل) عليه السلام

ولكن الله سبحانه وتعالى القادر على كل شئ أرسل الملائكة الى سيدنا ابراهيم فقالوا له : إنا جئنا لنبشرك بغلام عليم . فراجعهم قائلاً : أبشروني على أن مسني الكبر وصار لا يرجي لمن كان مثلي أن يلد وإمرأتي عاقرة قد بلغت سن اليأس

وكانت السيدة (سارة) تسمع كلام الملائكة لسيدنا ابراهيم ، فضحكت من هذه البشرى العجيبة وقالت : كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ؟ وأبدت غاية الاستغراب ، فقال لها الملائكة : إن هذا وعد من الله القادر وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ
لُوطٍ وَإِمْرَأَتُكَ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَوَيْنَ وَرَأَى اسْحَقَ

يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا مَعْجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿ هود

فلم يحل الحول على (سارة) وهي بنت تسعين سنة حتى حملت (باسحق)
ومما ولدته اسمته (يصحق) وترجمتها (يضحك) تريد أن كل من
سمع بولادة هذا الولد من أبوين شيخين يضحك لما في هذه الولادة من
الغرابة؛ وقد آل أمره الى أن يكون نبياً لقوله تعالى : في سورة الصافات
﴿ وَبَشِّرْ نَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وستأتي قصته

وقد أخذت السيدة (سارة) الغيرة من (اسماعيل بن هاجر) وحبها
أن يرث ابنها اسحق وحده ابراهيم دون اسماعيل كما هي غيرة النساء ،
لأنها امرأة تحب لابنها مالا تحب لابن ضررتها، فطلبت من ابراهيم أن
يبعد عنها هاجر وابنها اسماعيل ، وأصرّت على ذلك ، فأوحى الله الى
ابراهيم عليه السلام أن يأتي بالسيدة هاجر وابنها اسماعيل الى مكة ،
فذهب بها حتى قدم مكة ، فوضعها هناك في هذه البقعة التي لا نبات
ولا ماء ولا أنيس فيها ، ورجع الى فلسطين بعد أن دعا لها أن يتولاها
الله بعنايته وحفظه ، قال الله تعالى على لسان ابراهيم :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ابراهيم

ولما فقد الماء من هاجر عطشت ، واقطع لبنها ، فعطش الصبي
(اسماعيل) فنظرت ، أى الجبال أدنى من الأرض ؟ فصعدت (الصفا)
فتسمعت ، هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع فأنحدرت ، فلما أتت
على الوادى سعت فنظرت ، أى الجبال أدنى من الأرض ؟ فصعدت
(المروة) فتسمعت ، هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا ؟ فسمعت صوتا
فقالت : قد أسمعتنى صوتك ، فأعثنى فقد هلكت وهلك من معى .
فجاء الملك وجاء بها حتى انتهى بها الى موضع (زمزم) فضرب بقدمه
ففارت عين فعجلت الانسانة (هاجر) فجعلت فى شنتها (زمزمتها)
أى لما أبصرت هاجر الماء ، قامت واستقت لنفسها ولابنها اسماعيل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس فى هذا الحديث :
رحم الله أم اسماعيل لولا أنها عجلت لكنت زمزم عينا معينا تجرى
الى يوم القيامة

وقال لها الملك : لا تخافى الظما على أهل هذا البلد ، فانما هى عين
لشرب ضيفان الله « ومن وقفها للآن يشرب الحجاج من ماء زمزم

ويأخذون معهم جزءاً منه تبركاً به
ومن وقتها للآن والحجاج يسمون بين الصفا والمروة سبع مرات
لأنها صارت سنة مشروعة

وقال: ان أبا هذا الغلام (ابراهيم عليه السلام) سيجي فيبنيان
لله بيتا هذا موضعه . قال : ومرت قافلة من (جرم) تريد الشام
فأروا الطير على الجبل فقالوا : ان هذا الطير لعائف على ماء فهل علمتم
بهذا الوادي من ماء ؟ فقالوا : لا . فأشرفوا فاذاهم بالانسانة (هاجر)
فأتوها فطلبوا اليها أن ينزلوا معها فأذنت لهم . قال : وأتى عليها (أى
على هاجر) ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت فماتت

زواج اسماعيل وزيارة والده له

وتزوج اسماعيل عليه السلام امرأة منهم ، فجاء ابراهيم فسأل عن
منزل اسماعيل حتى دل عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له فظة غليظة
فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له جاء ههنا شيخ من صفته كذا
وكذا ، وأنه يقول لك إني لا أرضى لك عتبة بابك فحوها ، وانطلق
فلما جاء اسماعيل أخبرته ، فقال ذاك أبى وأنت عتبة بابي فطلقها ،
وتزوج امرأة أخرى منهم ، وجاء ابراهيم حتى انتهى الى منزل اسماعيل
فلم يجده ، ووجد امرأة له سهلة طليعة فقال لها : أين انطلق زوجك ؟

فقلت : انطلق الى الصيد . « وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع » قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء . قال : اللهم بارك لهم في لحمهم وماءهم . اللهم بارك لهم في لحمهم وماءهم (قالها ثلاثا) وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه وقولي له : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا وأنه يقول لك قد رضيت لك عتبة بابك فأثبتها

فلما جاء اسماعيل أخبرته : قال ذلك ابراهيم أبى ، فلبث ماشاء أن يلبث ، وأمره الله ببناء البيت فبناه هو واسماعيل . فلما بنياه قيل : أذن فى الناس بالحج ، فجعل لا يمرّ بقوم إلا قال : أيها الناس انه قد بنى لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسمعه أحد ولا صخرة ولا شجرة ولا شئ إلا قال ليكن اللهم ليكن ، وأصبح الحج فرضا على كل مسلم أن يؤديه متى استطاع لذلك سبيلا

أولاد اسماعيل عليه السلام

قد رزق اسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولداً كانوا رؤساء قبائل وسميت بالعرب المستعربة

بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة (البيت الحرام)

لما أمر الله ابراهيم عليه السلام ببناء الكعبة سار من الشام الى مكة ،

وقدم على ابنه اسماعيل عليه السلام وقال له : يا اسماعيل إن الله تعالى
قد أمرني أن أبني له بيتاً

فقال له اسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك

فقال ابراهيم : وقد أمرك أن تعينني عليه . فأجابه : سماعاً وطاعةً

فقام معه اسماعيل وصدعاً بالأمر ، وبني الكعبة ، وكان ابراهيم

عليه السلام يبني ، واسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ويتناولها لوالده ، الى
أن رفعا قواعد البيت وأتما بناءه وهما يدعوان الله قائلين :

ربنا تقبل منا أعمالنا لك إنك أنت السميع للداعين العليم بأحوالهم

ربنا اجعلنا مخلصين لك ، واجعل من ذريتنا أمة مخصصة لك ،

وأرشدنا الى طرق عبادتك ، واغفر لنا ذنوبنا ، وتب علينا إنك أنت

التواب الرحيم

وسألا الله بأن يبعث في الناس رسولا منهم (وهو محمد صلى الله

عليه وسلم) ليعلمهم كتاب الله (القرآن الكريم) والحكمة (أى الدين

والفقه) وأن يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأن يغرس

فيهم حب الطاعة ، والاخلاص لله ، والاعتراف بأنه هو القوى العزيز

الحكيم في تصرفاته وأفعاله . وذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَأُبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ البقرة

وقد أجاب الله دعاءهما وجعل هذا البيت الحرام مرجعاً للناس
ومعاذا يأتونه كل عام للحج ويرجعون اليه ، كما أنه جعله أمناً لهم يأوون
اليه من المخاوف لقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾ البقرة

وأنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آية باتخاذ مقام ابراهيم
(وهو الحجر الأسود الذي قام عليه حين ارتفع بناء البيت وضعف
عن رفع الحجارة ؛ وقيل هو مقامه المعروف في المسجد الحرام) مصلى
يصلون عنده عبادة لله وتكرمة منه لابراهيم عليه السلام . قال تعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة

وعهد الله الى ابراهيم واسماعيل تطهير هذا البيت الحرام من عبادة
الأصنام للطائفين الذين يأتونه ويطوفون به ، سواء كانوا غرباء أو من

أهله . وللعاكفين الملازمين له ، والرُكع السجود ، أى أهل الصلاة
القائمين بها خير القيام . لقوله تعالى :

﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ البقرة

ودعا ابراهيم ربه قائلاً : رب اجعل هذا البلد (أى مكة) بلدًا
آمنًا من الجبابرة وغيرهم أن يسلطوا عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما
تنال سائر البلدان من خسف وانتقال وغرق

وقيل : ان مكة منذ وجدت حرم آمن من عقوبة الله وسطوا الجبابرة
وقيل : أن ابراهيم سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته وكان غير ذى
زرع ولا ضرع ، فاستعاذ ربه من أن يهلكهم بها جوعًا وعطشًا .
ودعاه أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه ، كما أنه دعاه أن يرزق المؤمنين
من أهل مكة من الثمرات دون كافرينهم

فأجاب الله دعاءه وقال له : أجبت دعائك وسأرزق مع مؤمنى
أهل هذا البلد كافرهم أيضا ، فأمتعه قليلا برزقي من الثمرات فى الدنيا
الى أن يأتية أجله ، ثم أدفعه الى عذاب النار ، وأسوقه سحبا وجرا على
وجهه ؛ وهذا المصير السيئ لكل كافر . وذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ

مِنَ الشَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠١﴾ البقرة
فكانت الكعبة أول بيت وضع للناس للعبادة ، في حين أن بقية
الشعوب والقبائل في سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة
الأصنام والتماثيل

وكان هذا البيت الحرام مباركاً وهدى للعالمين ، وما بالعبادة
العابدين ، وطواف الطائفين ، تعظيماً واجلالاً لله ، وفيه علامات وآيات
بينات ، وهي مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، والمشعر
الحرام ، وكل من دخله كان آمناً على نفسه من المخاوف ، ومن
عذاب النار لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾
آل عمران

طاعة اسماعيل لوالده إبراهيم عليهما السلام

لذبحه امثالاً لأمر ربه وشجاعته

جاء في القرآن الكريم قصة ذبح إبراهيم لولده اسماعيل عليهما
السلام ، وقيامه بذلك امثالاً لأمر ربه الى أن أوحى اليه بالامتناع

عن ذبحه وفدائه بكبش عظيم عوضا عنه وهي :

ان سيدنا ابراهيم عليه السلام رأى في منامه أنه يقدم على ذبح ولده اسماعيل ليقدمه قربانا لله . فصدع بالأمر الصادر اليه في المنام (ومنام الأنبياء وحى من الله فهو صدق وحق)

ولما عرض الأمر على ولده اسماعيل عليه السلام تقبله بالقضاء والرضاء . وقال لوالده: يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَطِيعًا لِأَمْرِ رَبِّي، وَسَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ، لقوله تعالى :

﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى
قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

الصفات

فما استسما لأمر الله ، وصرع ابراهيم ولده اسماعيل على وجهه ليدبحه ، نودى يا ابراهيم لقد صدقت الرؤيا بالحق فكف عن ذبح ولدك . فالتفت فاذا بكبش كبير ، فأخذه وذبحه وأخلى سبيل ابنه ، وأكب على ابنه يقبله وهو يقول : اليوم يا بني قد وهبت لى ، ويقول الله مامعناه : إنا كما جزيناك خيرا واحسانا منا لطاعتك لنا يا ابراهيم كذلك نجزي الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا و عملوا على مرضاتنا، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ

الرَّشُوبًا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ الصافات

وان أمرنا اليك يا إبراهيم بذبح ابنك هو اختبار منا اليك . يظهر لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحقة عظيمة

ولقد فديناه بكبش عظيم ، وأتقناه من الذبح ، وأبقينا به الثناء الحسن في الآخرة ، وتلك منة من الله لابراهيم أن يذكره من بعده بالذكر الجميل . وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ الصافات

واليهود يزعمون أن الذبيح هو اسحق لا اسماعيل ، وهذا خلاف ماقرره العلماء ، والله تعالى أعلم

وفاء اسماعيل عليه السلام وصدقه

إن اسماعيل عليه السلام كان صادق لا يكذب ، ووفيا لا يخلف وعده ، ولذا قال الله في حقه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَاذْكُرْهُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿ مريم

نبي أذكرك يا محمد في القرآن الذي أوحينا به اليك أن اسماعيل بن إبراهيم كان لا يكذب ، ولا يخلف وعده ، فكان إذا وعد ربه أو عبداً من عباده وعداً ، قام وأوفى به

قال سهيل بن عقيل : إن اسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه . فجاء ونسى الرجل . فظل اسماعيل وبات حتى جاء الرجل في الغد . فقال له : ما برحت من ههنا ؟ قال : لا . قال الرجل : إني نسيت . قال اسماعيل : لم أكن لأبرح حتى تأتي . فهكذا يكون الصدق والوفاء من الأنبياء

وكان إبراهيم عليه السلام ، يأمر أهله بأقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وكان عمله هذا عند ربه مرضياً محموداً لقوله تعالى :

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ

مَرْضِيًّا ﴾ مريم

رسالة اسماعيل الى الناس

وقد أرسل الله تعالى اسماعيل عليه السلام الى قبائل اليمن ، والى العماليق ليدعوهم الى وحدانية الله وعبادته ، وكانت العماليق ساكنين في جزيرة العرب من جهة الشام

ولما تكاثر نسله ، وبارك الله فيه ، وجعل له القوة على غيره ،
أخرج العماليق فانتشروا في جهات كثيرة ، وكانت لهم اليد العليا في كل
ناحية وصلوا إليها

عمر اسماعيل ووفاته

قيل : ان اسماعيل عليه السلام عاش ١٣٧ مائة وسبعا وثلاثين سنة
وقيل : أنه مات بفلسطين ، ولكن مؤرخو العرب قالوا : انه مات بمكة
ويظن أنه دفن (بالحجر) الذي بجوار البيت الحرام هو وأمه ،
والله أعلم

٨ - قصة اسحق عليه السلام

سيدنا اسحق عليه السلام ويقال له (يصحق) بالعبرانية ومعناه يضحك ؛ هو ابن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من زوجته السيدة (سارة) وإنما سمي بذلك لأن أمه ضحكت في نفسها حينما بشرها الملك بأن يكون لها ابن وهي قد شاخت وفاتت سن الولادة ، وكذلك ابراهيم قد بلغ من العمر المائة سنة ، ولكن لما كان وعد الله لابراهيم باقامة النسل من ولده اسحق لم يخلف الله وعده ؛ وولد اسحق سنة ٢١٠٨ قبل الميلاد ، وكان به لوالديه فرح لا يوصف

ولما رأت السيدة سارة أنه قد صار لها ابن كبير عاينها أن يشترك معه في ميراث أبيه اسماعيل ابن جاريتها (هاجر) فطابت من ابراهيم أن يقصيه وأمه عنها ، وأراد الله ما طلبته كما مرّ ذلك في قصة اسماعيل عليه السلام

ولم يذكر في القرآن الكريم من قصة اسحق عليه السلام إلا البشارة به ، وأنه غلام عليم ، وأنه نبي من الصالحين ، وأن الله بارك عليه لقوله تعالى :

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى اسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ الصافات

وأنه من عباد الله المخلصين ، ومن أهل التقوى والطاعة على عبادته ،
ومن ذوى العقول الراجحة الذين خصهم الله بحسن الذكرى فى الدار
الآخرة ، فعملوا لها فى الدنيا ، وأنه من الذين اصطفاهم الله من الأخيار ،
واختارهم لطاعته ورسالته الى خلقه لقوله تعالى :

﴿ وَأُذَكِّرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِيَّاهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ
الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص

وان الله سبحانه وتعالى وهبه وتفضل به على ابراهيم ليكون من
الرجال العامرين بطاعة الله ، المجتنبين لمحارمه ، وجعله من الأئمة الذين
يهدون الناس الى طريق الحق ، ويقتدى بهم فى العمل بأمر الله ،
والدعوة الى عبادته من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة لقوله تعالى .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ
وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء

هذا ماجاء فى القرآن الكريم من ذكر قصة اسحق عليه السلام

أما قصته فى التوراة فملخصها ، تقلا عن كتاب قصص الأنبياء لفضيلة

الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار (ص ٨٨) هى مايتى :

ان ابراهيم عليه السلام لما شاخ أتى بعبدته المستولى على بيته وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين في فلسطين ، بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبني أبيه ، فذهب العبد الى (آرام) التي بها أسرة (ناحور) أخى ابراهيم وخطب له فتاة حسنة وهى (رقيقة) بنت (بتوئيل) فأجابها والدها الى ما طلب وذهب بها الى ديار سيده

وكانت (رقيقة) عزاء لاسحق بعد موت أمه ، وقد رزق منها بتوأمين هما (عيسو) أو عيص (ويعقوب) ، وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب

وكان عيسو فى كبره مغرماً بالصيد ، ويعقوب وادعاً ، فأحب اسحق عيسو ، وأحبت رقيقة يعقوب لكثرة برّه بها ، وكان فى ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره فى الميراث بحق البكورية ، فجاء عيسو يوماً متعباً لم يظفر بصيد ، وقد هياً يعقوب طعامه من عدس ، فأراد أن يأكل منه ، فأبى عليه ذلك ، إلا أن ينزل له عن حق البكورية ففعل

تغرب إسحق

وقد جاء فى التوراة أيضاً ، أنه حصلت مجاعة فى الأرض فى عهد

اسحق كما حصلت في عهد ابراهيم ، فذهب اسحق من بئر سبع الى (جرار) عند أبي مالك ، وقالت رفقة عن زوجها اسحق : انه أخي ، وهو أيضا قال : انها أختي . ورأى الرجل اسحق يلاعبها ، فعلم أنها زوجته ، فعاتب اسحق ، وحصل كما حصل في شأن ابراهيم وسارة ، ومما يذكر أن اسحق أعطاه الله هناك أي في (جرار) أموالا كثيرة . وعبيدا حتى حسده الأهل حسداً شديداً الجأه الى الخروج من بينهم . فرجع الى بئر سبع وتوطن هناك

وقد توفي اسحق بعد أن عاش ١٨٠ مائة وثمانين سنة ودفن بمغارة في (جيرون) وهي مدينة الخليل اليوم

١٠ - قصة سيدنا يعقوب عليه السلام

يعقوب عليه السلام هو ابن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام .
وقد جاء ذكره في القرآن الكريم أنه نبي صالح ، وأن الله هداه كما
هدى نوحاً من قبل لقوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِنْ قَبْلُ ﴾ الأنعام

أما في التاريخ قبيلى :

قد بعث الله تعالى يعقوب نبياً إلى أهل كنعان ، وكان ملكهم
يومئذ (سلجم) من ولد (دارا) فلما نزل يعقوب عليه السلام أرض
كنعان وبني بها داراً واسعة نزل بها هو وأولاده ، قيل هى مدينة
(نابلس) وهناك مرعاه (لأنه كان صاحب زرع وماشية) فبلغ الملك
ذلك فخرج بجميع جنوده يريد اهلاكه . فلما بلغ الى مكان يعقوب نظر
الى دار وهنة فقدم على الحجى ، الى هناك واجتمع مع يعقوب وجلس
بين يديه وقال له : من أنت ؟ وكيف نزلت فى هذا المكان بغير إذنى ؟
فقال : أنا يعقوب بن اسحق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله ونزلت فى
هذا المكان بإذن الله تعالى ، وانى بعثت لأدعوك وقومك الى الايمان

بالله تعالى والاقرار بآنى عبده ، فان أجبت ، وإلا جاهدتك فى الله
حق جهاده ، فغضب الملك وقال له : بيم تجاهدنى وليس معك جند :
فنظر يعقوب الى أولاده الاثنى عشرة ، وكانوا قياما على رأسه فقال :
أجاهدك بالله وملائكته وهؤلاء الأولاد . فغضب الملك وانصرف
الى حصنه ، وأخذ يعقوب يدعوهم الى دين الاسلام فلم يقبلوا ، ولم
يؤمنوا ، فأمر أولاده بالجهاد ، فقال (شمعون) : يا بنى الله أنا أكفيك
أمر هذا الحصن ، فأذن له فوقف على باب الحصن وقال : اللهم افتح
لنا وأنت خير الفاتحين ، بسم الله إله ابراهيم واسحق ويعقوب .
وضرب برجله اليمنى باب الحصن فتدكدك الحصن ، وسقطت حيطانه
ومات أكثر من فيه من الخوف ، ودخل يعقوب الى الحصن وأولاده
وانهزم الملك وغالب جنوده وغنموا كل ما فيه ؛ ثم هاجر يعقوب وسار
الى خاله (لابان) فى فلسطين فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار
فسمى لذلك اسرائيل

فبينما هو يسير أدركه النوم فى بعض الطرق فبات متوسداً حجراً .
فرأى رؤيا (ورؤيا الأنبياء وحى من الله) أن الله أوحى اليه : أنى
أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك ، وقد أورثتك هذه الأرض
المقدسة وذريتك من بعدك ، وباركت فيك وفيهم ، وجعلت فيكم
الكتاب والحكم والنبوة ؛ فسار الى خاله (لابان) وكان له بنتان

(لايا، وراحيل) فتزوجها وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين ،
وقد حرم الله ذلك فيما بعد لقوله تعالى :

﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ النساء

وكان يعقوب في غبطة وسرور منها ، وكان له جاريتان أختان
فوهبته كل واحدة منها جارية ، فجمع بين أختين حرتين ، وأختين أمتين
فولد له من (لايا) أربعة من الأسباط وهم : روبيل . ويهودا .
وشمعون . ولادى : وولد له من راحيل يوسف عليه السلام وأخوه
بنيامين وأخوات لهما . وماتت راحيل من نفاس بنيامين ودفنت خارج
بيت المقدس على الشارع الذى يقرب بيت لحم . وولدت كل من
الجاريتين ثلاثة رهط من الأسباط وهم : يساخا . وزبولون . ودان .
ونفتالى . وكال . وواشر .

وسموا بالأسباط لأن كل واحد منهم ولد له قبيلة . والسبط فى
كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الأغصان

ثم اشتاق (يعقوب) لرؤية أمه وسار بأهله وأولاده ، وهم اثنا عشر
ذكراً ، الى أرض كنعان ، وكان أخوه (العيص) ذا سلاح وقوة ، وكان
قد سمع بوصول أخيه فاستقبله فتلاقيا وتماعقا

وكان ليعقوب مواش كثيرة ، فأعطى العشر من غنمه لأخيه ،

فانتقل بها إلى بلاد الروم فاستوطنتها فهو أبو الروم
وقيل : أن يعقوب والعيص ، ماتا في يوم واحد ؛ وقيل عاش يعقوب
عليه السلام في أرض مصر بعد أن اجتمع بولده يوسف سبع عشرة سنة
وكان عمره ١٤٧ سنة مائة وسبعا وأربعين سنة ، وتوفي بصر وحمله
ابنه يوسف عليه السلام ودفنه عند قبر أبيه إبراهيم عليه السلام

وصية يعقوب لأولاده

وقد جاء في القرآن الكريم أن سيدنا يعقوب عليه السلام أوصى
بنيه بما أوصى به إبراهيم عليه السلام بنيه من الحث على طاعة الله ،
والخضوع له ، واتباع قواعد الإسلام لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ البقرة

وهذه الوصية تنحصر في قوله لهم : ان الله اصطفى لكم الدين القيم
الذي قد عهد اليكم فيه فاتقوا الله ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون . كما
قال الله تعالى :

﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة

١١ - قصة يوسف الصديق

عليه السلام

يوسف الصديق عليه السلام، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، فهو يوسف بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام

كان جميل الصورة ، حسن الوجه ، وكان أبوه يعقوب يؤثره بزيادة
الحبة على إخوته ، وكان ذلك سبباً في حقد إخوته عليه ، وسبباً في
محنه التي كانت خيراً وبركة عليه وعلى مصر وعلى الأمم القريبة
من مصر

وقد ذكرت قصة يوسف في القرآن الكريم في سوره المعلومه ،
وهي مشروحة فيما يأتي :

ان يوسف رأى في منامه أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
تسجد له ، فقص هذه الرؤيا على أبيه ، وكان عمره وقتئذ اثنتي عشرة
سنة . فقال له أبوه : يا بني لا تخبر إخوتك بهذه الرؤيا فيدبروا حيلة
لاهلك لأن الشيطان للانسان عدو مبين ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ
عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾
وكما أن الله اصطفاك فأراك هذه الرؤيا ، يصطفيك للنبوة والملك .
ويعلمك تعبير الرؤيا ، ويتم نعمته عليك بالنبوة ، وعلى آل يعقوب
بالتقوى والصلاح ، كما أتمها على أبويك ابراهيم واسحق من قبل ، ان
ربك عليهم بأهل الفضل ، حكيم لا يقضى إلا ما ينبغي أن يكون ؛ وذلك
قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسِمُّ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ
ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

حسد وحقده إخوته عليه واتفاقهم على قتله

ولما رأى أبناء يعقوب شدة حب أيهم ليوسف وإيثاره عليهم
اشتد بهم الغيظ والحقد ، وهم في شرخ الشباب ، وطيش الحداثة ،
فأضرموا له الشر ، وسعوا في التفريق بينه وبين أبيه ، فقالوا: إن يوسف
وأخاه من أمه (بنيامين) أحب الى أبنائنا منا ونحن جماعة أقوىاء أشداء
نافعون له وأحق بمحبته وأجدر بكلفه ، إن أبانا إذا لقي خطأ عظيم في

إيثاره يوسف وأخاه علينا بالحبّة

﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ
إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

وأجمعوا أمرهم على قتله، وقال بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف وألقوه
في أرض من الأراضى يخل لكم وجه أيكم عن شغله يوسف ، فانه
قد شغله وصرف وجهه عنا اليه ؛ وتكونوا من بعده قوماً صالحين
بتوبكم من قتله

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ
وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾

قال قائل منهم وهو « يهودا » وبعضهم قال (أرويل) وكان
أكبر القوم وأفضلهم وأرجحهم عقلاً ، لاقتلوا يوسف ، فان القتل
ذنب عظيم ، بل ألقوه في قعر بئر يلتقطه بعض المارة إن كنتم ولا بد
فاعلين

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَانْتَقِلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ
يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

وأخذ عليهم العهد أنهم لا يقتلونه ، فأجمعوا عند ذلك على أن
يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم الى البرية ،

وأقبلوا عليه ووقفوا بين يديه . فلما رآهم قال لهم : ما حاجتكم ؟
قالوا : يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ؟ وَالْحَالُ أَنَّا عَلَيْهِ مُشْفِقُونَ وَنَه
نَاصِحُونَ ، أَرْسَلَهُ مَعَنَا إِلَى الصَّحْرَاءِ يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ
مُحْفَظُهُ حَتَّى نُرِدَّهُ إِلَيْكَ سَالِمًا

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ
أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾

وكان يعقوب قد أحسَّ بالشئ الذي يضمه بنوه لأخيهم يوسف ،
ولم يرد أن يظهر لهم تخوفه من جانبهم فقال لهم : انه ليكدرني أن تذهبوا
بيوسف لأتى لأطيق وقع فراقه على نفسى ، وأخاف أن يختطفه الذئب
منكم فيأكله وأنتم عنه لاهون « والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم على
ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب »

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ
وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾

فأجابوه قائلين : لئن أكله الذئب ونحن جماعة كثيرون نكون إذا
عاجزين هالكين

﴿ قَالُوا لئنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَنَخَاسِرُونَ ﴾

تنفيذ مؤامرتهم بالقاء يوسف في الجب لهلاكه

فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمان اليهم وأرسله معهم ، فلما ذهبوا به الى البرية ، أجمعوا رأيتهم وعزموا على القائه في غيابة الجب ، وأظهروا له العداوة ، وجعل بعض إخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، ولم يجد منهم أخا رحيا ، وجعلوا يضربونه ، حتى كادوا يفتكون به ، فأخذ يصيح ويقول : يا ابتاه (يا يعقوب) لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء ، فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا : اليس قد أعطيتموني موثقا ألا تقتلوه ، فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه . فأوثقوه كتافا ، ونزعوا قميصه ، وألقوه فيه

فقال لهم : يا أخوتاه ردوا عليّ قميصي أتراهي به في الجب . فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك . قال : إني لم أر شيئا فأدلوه في الجب حتى اذا بلغ نصفها ألقوه حتى يموت ، وكان في البئر ماء فسقط فيه ، ثم آوى الى صخرة فيها فقام عليها ، ثم نادوه فظن أنهم رحموه فأجابهم ، فأرادوا أن يرموه بالحجارة ، فمنعهم يهودا . ثم أوحى الله اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحي

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

تلطیح قمیصه بدم کذب لاختفاء الجریمه

ثم عمدوا الى سخله (جدى) من الغنم فذبحوها ، ولطخوا قميص
يوسف بدمها ، ورجعوا إلى أبيهم يعقوب في العشاء وكان ينتظر مجيئهم
لتعلق قلبه بيوسف

فلما دنوا منه صرخوا صراخ رجل واحد ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء
والعويل ، فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة

فلما أقبلوا عليه اجتمعوا وتقدموا بين يديه ، وأكثروا من البكاء ،
ففرع يعقوب وقال لهم : مالكم يا بنى وأين يوسف ؟

قالوا : يا أبانا إنا ذهبنا للسباق والنضال ، والرعى بالسهام ، وتركنا يوسف
عند متاعنا ، فأكله الذئب ، وأنت لست بمصدقنا ولو كنا صادقين

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾

فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال : أين القميص؟ فجاءوه بالقميص
عليه دم كذب ، فأخذ القميص وطرحه على وجهه ، ثم أخذ بيكى
حتى تخضب وجهه من دم القميص ، ولما لم يجد بالقميص تمزيقاً ولا
قطعاً قال لهم متهمك : ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق

قميصه، ولم يعمل في قميصه نابا ولا ظفرا ثم قال لهم: لقد سئلت لكم أنفسكم ارتكاب ذنب عظيم، فصبر جميل، وربى المعين على احتمال ما تقولون ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

انقاذ يوسف من الجب

وأقام يوسف في الجب ثلاثة أيام وكان قليل الماء، وجاءت سيارة (قافلة) فبعثوا من يستقي لهم، فأدلى دلوه في البئر الذي به يوسف فعلق به، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فاذا بها غلام وسيم، فاستبشر الرجل وقال: يا بشرى هذا غلام! ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾

واتفق وارد القوم الذي أدلى بدلوه ومن معه من أصحابه من رفقته بالقافلة، على أن لا يقولوا أنهم اشتروه من سادته أصحاب الماء خيفة أن يطلبوا منهم الاشتراك معهم فيه، فقال: إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام. والله عليم بما يعمل به باعة يوسف ومشروه في أمره ﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

بيع يوسف لعزير مصر

ثم جاء يهودا بطعام ليوسف حسب عادته فلم يره في الحب فنظر
فِرَادَ عند مالك في المنزل فأخبر إخوته بذلك ، فأتوا مالك وقالوا له :
هذا عبد هارب (أبق) منا فاشترود منهم بثمان بجنس ، وكانوا فيه
من الزاهدين

ثم ذهبوا به الى مصر وعرضوه للبيع فاشتراه (قطفير عزير مصر)
وكان وزيراً على خزائن مصر ، وكان الملك على مصر يومئذ (الريان بن
الوليد) رجل من العماليق ، ثم مضى به العزيز وقال لامرأته (راعيل
أوزايخا) : أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا اذا فهم الأمور ، أو نتخذه
ولداً لأنه لم يكن له ولد ، وليس عنده ميل للنساء

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾

ولما رأى في يوسف الذكاء والأمانة والعلم جعله صاحب أمره
ونبيه ، والرئيس على خدمه ، والمتصرف في بيته بحيث لم يكن لأحد

ممن في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته، وهذا
إكرام من الله له، وحسن جزائه إليه

ولما أنقذ الله يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله بالقائه في
الجب (وأخرجه من الجب صيره إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند
عزيز مصر. ويمكن له في الأرض وجعله على خزائنها، وتولاه بالهداية
والترقية والتوفيق، وعلمه من لدنه علماً عظيماً، وهو تعبير الرؤيا والله
غالب على أمره، فعال لما يريد؛ ولكن أكثر الناس الذين زهدوا
في يوسف وباعود بثمان بنحس، والذين صار معهم من أهل مصر
لا يعلمون ما الله صانع بيوسف

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
ولما بلغ يوسف منتهى شدته وقوته في شبابه، آتاه الله حكماً وعلماً.
وجزاه أحسن الجزاء، وكذلك يجزي الله المحسنين من عباده القانتين
بأمره المهتدين لطاعته

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴾

محنة يوسف بحب امرأة العزيز له

وما حصل له معها

كانت منة الله تعالى على يوسف بالحسن والجمال الرائع سببا في محنته. من حيث ان امرأة العزيز لما نظرت اليه ورأت حسنه وجهاله شغفها حبه وعشقتة ، فأخذت تداعبه، وهو يعرض عنها لشدة إيمانه بالله ، ومخافة عصيانه ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ولطهارة أخلاقه، تلك الطهارة التي ورثها عن أبيه وجدده وجد أبيه ، ولأمانته وعدم قبوله خيانة سيده الذي ائتمنه على ماله وعرضه ، ومكن له في بيته ، وجعله المتصرف في أمواله وخدمه ، ووثوقه به ثقة عظيمة

كل ذلك كان كافياً لحفظ سيده في أهله ، والابتعاد عن تدنيس شرفه وكرامته، وإعراضه عن امرأته التي هاج بها الغرام ، فراودته عن نفسها، وأخذت عدتها وغلقت الأبواب وقالت ليوسف: هيت لك (فيلم بنا) فأبى عليها ذلك وقال لها : معاذ الله ، أعتصم بالله ، وأستجير بالله من هذا الفعل ، ان سيدى (أى بعليها) أحسن منزلتى وأكرمنى وائتمنى فلا أخونه فى أهله ، والله، ان الذى تدعينى اليه لظلم فاحش ولا يفلح الظالمون

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾

ولما همت يوسف امرأة العزيز ودعته إلى نفسها أراد أن بهم بها
إجابة لنداء الطبيعة البشرية القاهرة لولا أنه نظر بعين البصيرة فرأى
البرهان الساطع والدليل القاطع ، وهو عصمة الأنبياء من ارتكاب
الفحشاء ، فاستعصم وحرص كل الحرص على طاعة ربه وتمسك بأداب
آبائه وأخلاقهم الطاهرة الزكية، ولذا صرف الله عند السوء والفحشاء
وجعله من عباده الصالحين المخلصين في عبادته وطاعته .

وقد اعترفت امرأة العزيز نفسها بأنها هي التي راودته عن نفسه
فاستعصم كما سيجي ذكره ، وذلك قول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ
لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

وقام يوسف مولياً وجهه شطر الباب هارباً مما أرادت فاتبعته وأدركته
وتعلقت بقميصه من خلفه، فجذبه إليها مانعاً له من الخروج، فخرقت قميصه
وشقته من خلفه؛ لأن يوسف كان الهارب، والمرأة كانت الجاذبة الطالبة،
واستبقا الباب فوجدا سيدها العزيز وابن عمهامعه قائمين على باب البيت،
فلما رآته هابته وقالت له : ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن

أويمذب عذاباً أليماً ، ولطخته مكانها بالسيئة خوفاً من أن يتهمها
صاحبها بالفجور

(وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَى
الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ)

تبرئة يوسف مما اتهمته به امرأة العزيز

فلما سمع يوسف عليه السلام ذلك اضطر إلى تبرئة نفسه الطاهرة
الزكية فقال : هي راودتني عن نفسي فهربت منها ، فأدركتني فمَدَّتْ
قَمِيصِي مِنْ خَلْفِ

فقال ابن عمها: تبيان هذا في القميص، فإن كان قدَّم من أمام فصدقت
وهو من الكاذبين، وإن كان قدَّم من خلف فكذبت وهو من الصادقين،
فأبى بالقميص فوجده قدَّم من دبر (خلف) فقال : إن هذا الفعل من
كيدك إن كيدك عظيم

« وقيل ان الشاهد كان صبياً في المهد »

فقال زوجها ليوسف : يوسف أعرض عن هذا، أى لاتذكر ما كان
منها لأحد

ثم قال لزوجته : استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين المذنبين

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، وَأَسْتَغْفِرْ لِي ذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

وذنبها طلبها الفحشاء من يوسف، وافتراؤها عليه بأنه هو الذي راودها عن نفسه وأراد بها سوء والفحشاء

شيوع الخبر في المدينة وتحدث النساء به

ثم شاع أمر يوسف وإمرأة العزيز بين الناس في أرجاء المدينة ، وأكثر بعض النساء الأشراف من التحدث بهذه الحادثة، ووجهن سهام الطعن والملام ضدّها قائلات : إنها في ضلال عظيم
فما بلغ إمرأة العزيز اغتيالها لها أخذت في الكيد لهنّ ليعذرنها فيه ولا يعذلنها ، فأرسلت إليهن ، وهيات لهن مكاناً أليفاً ، فيه من التمارق والوسائد ما يتكئن عليه ، وقدمت إليهن طعاماً مما يحتاج قطعه إلى السكين وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، وبينما هن يقطن ماهياتهن أمرت يوسف أن يخرج عليهن

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ
قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ
مِكْنًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْنَ ﴾

فلما خرج يوسف عليهن ورأينه بهرهن جماله، وشغلن حسنه عن
قطع الفاكه التي كانت بأيديهن، فصرن يقطعن أيديهن وهن لا يشعرن
بألم الجرح، وأعلنن أكبارهن وإعظامن لذلك الجمال الرائع وقلن : ليس
هذا بشراً ؛ ولكنه ملك كريم

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا
بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

عند ذلك باحت امرأة العزيز بحبها وشغفها بيوسف وقالت لتلك
النسوة :

هذا هو الذي لمتني في حبي إياه وشغف فؤادي به، وقلتن قد شغف
امرأة العزيز فتاها حباً ونسبتن إلى الضلال

ثم اعترفت وأقرت لهن بأنها هي التي راودته عن نفسه ، وأن الذي
تحدثن به عنها في أمره حق، وقالت : لقد راودته عن نفسه فاستعصم

وامتنع، فإن لم يطاوعني ويحبني إلى ما أدعوه إليه من قضاء شهوتي ليحبسني
في السجن ويكون ذليلاً صغيراً

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَاقْدِرْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ
فَاسْتَعْصَمَ وَبِئْسَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لِيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾

ولما توعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه اختار السجن
على معصية الله وقال : رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ؛ ثم
دعا ربه وقال : إن لم تدفع عني يارب فعلهن الذي يفعلن بي وهو طلب
مراودتهن إياي على أنفسهن أخاف أن أميل إليهن وأتبعهن في إغوائهن
لي وأكون حينئذ من الجاهلين، أي جاهلاً إذا ارتكبت معصيتك

﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

فاستجاب له ربه وصرف عنه كيدهن، ونجاه من ارتكاب المعصية
معهن، وكان الله سميعاً لدعائه ، علياً بطلبه وحاجته، وما يصلحه، وبحاجة
جميع خلقه وما يصلحهم، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

ولما يئست امرأة العزيز من موافقة يوسف شكت لزوجها وقالت له :

إن هذا الفتى قد فضحني في الناس

فرغما مما رآه العزيز من الآيات الدالة على اجرام إمرأته وهي القميص، وشهادة الشاهد من أهلها، وتطبيع النسوة أيديهن، واعترافها بأنها هي التي راودته عن نفسه أمامهن، بداله ولمشيره أنه لا يخلصهم من العار الذي لحقه ولحق زوجته ويكف السنة الناس عنه وعنهما إلا زج يوسف في السجن ليعتقد الناس أنه ما حبس إلا لأنه آثم كاذب في إدعاء البراءة، وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به، وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ تُمْ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

ما حصل من يوسف في السجن ودعوته لدين الله

أدخل يوسف السجن بدون جريمة ارتكبتها، ودخل معه السجن فتيان: أحدهما صاحب شراب الملك، والثاني صاحب طعامه وخبزه (قيل إن الملك غضب على خبازه لأنه بلغه أنه يريد أن يسمه فخبسه، وحبس صاحب شرابه ظنا منه أنه مالأه على ذلك فخبسهما مع يوسف) فسألاه عن صنعه وعمله فقال لهما : أنا أفسر الأحلام وأعبر الرؤيا فقال أحد الغلامين لصاحبه : هلم نجرب هذا العبد العبراني ، فأتاه صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى في منامه أنه يعصر في كأس الملك خمرًا ، وجاء الخباز وقال له : إني رأيت فوق رأسي طبقًا من الخبز والطير تأكل منه، وطلبا إليه أن ينبي كل واحد منهما بتأويل ما رأى في منامه، وقال له : إنا نراك من المحسنين لنا إن عبرت لنا عن رؤيانا

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا
وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ
فَبَشَّرْنَا بِمَا وُيَلِّهِ إِنَّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

فاغتنم يوسف الفرصة وأخذ ينوه بشأن نفسه أمامهما حتى يجذب
نفوسهما نحوه ، ليتمكن دعوته إياهما إلى الإيمان في نفوسهما وذلك
هو أعظم ما يبتغيه وأخذ يقول لهما : لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نباتكما
بتأويله قبل أن يأتكما . فقالا له : هذا فعل الكهنة والسحرة . فقال
لهما : ما أنا بكاهن ولا بساحر ، ولكن ذلك مما علمني ربي بتركي ملة
الأقوام الكفار الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتباعى ملة آباءى
ابراهيم واسحق ويعقوب فكلنا نعبد الله وحده لا نشرك به أحداً ،
فليس لأحد أن يشرك بالله شيئاً ، وذلك كله من فضل الله علينا وعلى
الناس اذ أرسلنا اليهم دعاة الى توحيدده وطاعته ، ولكن أكثر الناس
لا يشكرون فضل الله عليهم بما أنعم به عليهم من عبادته

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتٌ كُفَمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ
أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَمَّيْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

ثم أن يوسف عليه السلام سأل صاحبيه (الغلامين) قائلاً لهما :
أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لاتنفع ولا تضر خيراً ، أم عبادة
المعبود الواحد القهار ، الذي لا ثأني له في قدرته ، وسلطانه الذي قهر كل
شيء فذله وسخره فأطاعه طوعاً ؟

قيل : ان يوسف عليه السلام قال لهما هذا القول ، لأنه كان يعلم أن
أحدهما مشرك فدعاه بهذا القول إلى الاسلام ، وترك عبادة الآلهة
والأوثان ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ؟ ﴾

ثم قال لهما : انكم لاتعبدون من دون الله في الواقع إلا أسماء
سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من دليل ولا حجة ، ولكنها
اختلاق وافتراء منكم ومنهم ، واعلموا بأن الحكم لله الواحد القهار ،
الذي أمر أن لاتعبدوا أنتم وجميع خلقه إلا إياه ، وذلك هو الدين
القيم الذي دعوتكم إليه ، لا اعوجاج فيه ، والحق الذي لا شك فيه ،
ولكن أكثر أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقة

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

وبعد أن فرغ وانتهى من دعوتها الى دين الله ابتداءً أن يفسر لها رؤياها لما ألحا عليه فقال : أما أحدكما فيسقى ربه أى سيده خمرًا ؛ وهو الذى رأى أنه يعصر الخمر أى يعود الى منزلته التى كان عليها عند الملك ، وأراد به الساقى صاحب الشراب

وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، فيصلب وتأكل الطير من رأسه ، وأراد به صاحب الطعام فلما سمعا قول يوسف عليه السلام قالوا : مارأينا شيئاً انما كنا نلعب ونهزل ، ونجرب علمك ، فقال لها : قضى الأمر الذى عنه تسألان . وذلك قوله تعالى :

﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

ثم أن يوسف عليه السلام رأى أن يجد الفرج من السجن والخلاص مما هو فيه من الضيق على يد الذى ظن أنه ناج منهما وهو الساقى فقال له : اذكرنى عند سيدك وأخبره بمظلمتى وانى محبوس بغير جرم ، ولكن الشيطان أنسى الساقى ذكر ذلك فأوحى الله الى يوسف : أتخذت من دونى وكيلًا ؛ لأطيلن حبسك

فلبث يوسف في السجن بضع سنين، والمشهور أنه لبث بعد ذلك
سبع سنين وتحقق تأويل المنام

وجاء عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : رحم الله
يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث (يعنى قوله : اذ كرني
عند ربك) ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربه، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

الفرج ليوسف

لما قرب الفرج من يوسف عليه السلام رأى ملك مصر - وهو الريان

ابن الوليد - رؤيا عجيبة هالته وفزع لها

وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان ، وسبع بقرات عجاف ، قبيحة

المنظر، خرجت من النهر فأكلت البقرات الأولى السمينة ؛ ثم استيقظ

من منامه ؛ ثم عاد الى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة في

ساق واحد، وخلفها سبع سنابل يابسات قد عدت على السنابل الخضر

فأكلتها

فلما أصبح الصباح جمع السحرة والكهنة وكل من له علم بتعبير

الرؤيا وتفسير الأحلام وسأتم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جواباً وقالوا له : هذه أخلاط أحلام كاذبة لا حقيقة لها . وما نحن بتأويل تلك الأحلام الكاذبة بعالمين ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ
إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾

فتذكر الساقى الذى نجا من القتل من الفتيين اللذين كانا مع يوسف فى السجن ما كان نسي من أمر يوسف، وذكر حاجته للملك التى كان قالها له عند تعبیر رؤياه وهى : اذ كرنى عند ربك بعد حين، وقال : أنا أنبئكم بتأويله، فأرسله الملك الى يوسف فى السجن ليقص عليه رؤياه

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسَلُونِ ﴾

فلما التقى الساقى بيوسف قال له يوسف أيها الصديق : أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر لعل أظفر منك بجواب، فرجع إلى القوم فأخبرهم بتفسير هذه الرؤيا ليعلموها

﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كُذِّبْنَ
سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ
إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

فأجابه يوسف بتأويل هذا قائلا : إن مصر يأتى عليها سبع سنين
مخصبات يكثر فيها الخصب والرخاء فتجود الأرض فيها بالمغلات الوفيرة؛
ثم يأتى من بعدها سبع سنين مجدبة يحصل فيها الجذب والقحط وفرط
الغلاء فتأتى على المحزون من السنين السبع التى تقدمتها ؛ ثم بعد ذلك
تأتى أعوام الخصب والرغد ؛ وان على أهل مصر أن يقتصدوا فى سنى
الخصب ويخزنوا ما فضل من القوت فى سنابله حتى إذا حلَّ الجذب
والقحط وجدوا فى مخازنهم ما يسد الرمق ويمسك عنهم الضيق حتى
يأتى الله بالخصب والغيث

فوصف البقرات السمان بسنى الخصب، والبقرات العجاف بسنى
الجذب والمحل، وكذلك السنبلات الخضرة والسنبلات اليابسات

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُذِّبْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ
يُبَغَاتُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

فلما عاد الساقى إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف عليه السلام من تأويل رؤياه، ووقع في قلب الملك أن الذى قاله يوسف مناسب ومتفق مع الرؤيا أمر بإحضار يوسف وقال : اتتوني بالذى عبر هذه الرؤيا لأجعله من المقربين إلى

فلما جاء الرسول إلى يوسف عليه السلام أبى أن يخرج معه حتى يعرف حقيقة أمره بما كانوا قد فوه به من شأن امرأة العزيز، وأراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة، مرفوع الرأس، أبيض الصحيفة، فقال للرسول : ارجع إلى سيدك فاسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن فإن الله عليم بكيدهن .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾

فرجع الرسول إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف ، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وإمرأة العزيز وقال لهن : ما خطبكن؟ أى ما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ فأجبنه وقلن : حاشَ الله ما علمنا عليه من سوء، وأنكرن أن يكن سمعن شيئاً يشينه وشهدن ببراءته

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾

ولما رأت امرأة العزيز أن يوسف الذي زجت به في السجن ظمًا
وعدوانًا قد أكرمه الله تعالى لعصته وطهارته حتى صار من اهتمام الملك
به أن يستدعيه ليستخلصه لنفسه ، أقرت واعترفت بما اقترفته وباحث
بما كتمته عن زوجها، فقالت : الآن حصص الحق وظهر وانكشف ،

وأنا التي راودته عن نفسه فاستعصم وإنه صادق في دعواه

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ

نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

فلما سمع يوسف هذا الاعتراف منها قال : ليعلم الملك أنني لم أخن

سیدی فی زوجته بالغيب (أى لم أرتكب فعل الفاحشة في حال غيبته

عنى) وأن الله لا يسدد كيد الخائنين وإني ما فعلت ذلك تزكية لنفسى

وعجبًا بها، فإن النفس لأماراة بالسوء، إلا النفوس التي يرحمها الله فيعصمها

من ارتكاب المعصية

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ

الْخَائِنِينَ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي

إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يوسف بحضرة الملك

لما تبين للملك طهارة يوسف عليه السلام ، وعرف أمانته وبراءته وكفائته وعلمه وعقله قال : ائتوني به أستخلصه لنفسي (أى أجعله من خلصائى دون غيره) وحينئذ رأى يوسف أن ليس هناك علة فى الامتناع عن الخروج ، فخرج مرفوع الرأس ، طاهر الذيل ، وجاء إلى الملك وكلمه فسر الملك من كلامه ، وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا ، وقال له : إنك لدينا ذو مكانة ومؤتمن على كل شئ

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

ثم سأله عن أى عمل يرضاه لنفسه ويكون فيه سروره فقال يوسف : اجعلنى على خزائن الأرض ، فأبى حفيظ وأمين على ما يخرج منها من الغلات والخيرات عليم بوجوه تصرفها

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

ومن فضل الله على يوسف ورحمته أنه مكن له فى الأرض مكاناً علياً وهى أرض مصر يتخذ منها منزلاً حيث يشاء بعد الحبس والضيق ، كما أن الله يصيب برحمته من يشاء من خلقه ولا يضيع أجر من أحسن عملاً فأطاع ربه وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، وأن ثواب الله فى الآخرة

خير للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى الله يوسف في الدنيا من تمكينه
له في أرض مصر وكانوا يتقون الله ويخافون عقابه

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ
نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

زواج يوسف عليه السلام بامرأة العزيز

جاء في كتاب تاريخ الكامل لابن الأثير : أن الريان ملك مصر
زوج يوسف (راعيل أو زليخا) امرأة سيده العزيز (التي كانت
مشغوفة بحبه) فلما دخل بها قال لها : أليس هذا خير مما كنت تريدين ؟
فقلت : أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء جميلة في
ملك ودنيا ، وكان صاحبي لايميل الى النساء ، وكنت كلما أنظر في
صورتك وحسن هيئتك ، غلبتني نفسي . فلما بنى بها يوسف وجدها
بكرأ عذراء ورزق منها بولدين : افرام ومنسا ؛ وقد باركهما جدهما
عليه السلام ودعا لهما ، وجعلهما صاحبي نصيين كأولاده الصليين في
الأرض المقدسة التي يملكها بنو اسرائيل وهي أرض فلسطين

(إخوة يوسف يتجرون يمتارون)

لما أطأن يوسف عليه السلام في ملكه وخرج من البلاء الذي كان فيه ، وختت السنون المحصبة التي كان أمرهم بالأقتصاد فيها للسنين المجدة التي أخبرهم بها أنها حاصلة ، جهد الناس في كل وجه وخرجوا الى أرض مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلد . وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد ساوى بينهم ، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد ، فلما نظر اليهم قال : أخبروني ما أمركم فاني أنكر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام . قال : فما الذي جاء بكم الى هنا ؟ قالوا : جئنا ننتار طعاماً . قال : كذبتم أتم جواسيس (عيون) كم أنتم ؟ قالوا : عشرة . قال : أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبروني خبركم

قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أخاً لنا ، وأنه ذهب معنا الى البرية فهلك منا فيها ، وكان أخانا الى أبينا

قال : فالى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : الى أخ لنا أصغر منهم .
قال : فكيف تخبروننى أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون
الكبير ، اتئوني بأخيكم هذا حتى أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندى ولا تقربوا بلادى . قالوا : سترأود عنه أباه وإنا نفاعلون .
قال لهم : فضعوا أحدكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا (شمعون) .
ولما حمل يوسف لإخوته جمالهم من الطعام أوفر لكل رجل منهم
بعيره وقال لهم : اتئوني بأخ لكم من أيكم لأحمل لكم بعيرا آخر .
الأترون اتنى أوفى الكيل لكم ولا أنجسه
وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه

﴿ وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوْسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
وَأَمَّا جَهَنَّمَ هُمْ بِجَهَنَّمَ قَالَ اتئوني بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَيْبِكُمْ الْآتِرُونَ
أَنَّى أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَتَرَأُودُ عَنْهُ أَبَاءَهُ وَإِنَّا
لَفَاعِلُونَ ﴾

وقال لغلمانه : اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم
فانهم يعودون بها الينا لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم

﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا
إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

إخوة يوسف عند أبيهم وطلبهم أخاهم بنيامين

فَمَا رَجِعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ أَبِيهِمْ بِجَمَاهُمْ قَالُوا لَهُ : يَا أَبَانَا
إِنَّ عَزِيزَ مِصْرَ قَدْ أَكْرَمَنَا إِكْرَامًا زَائِدًا وَإِنَّهُ ارْتَهَنَ (شَمْعُونَ) وَقَالَ اتَّوْنِي
بِأَخِيكَ الصَّغِيرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَيْهِ أَبُوكُمْ بَعْدَ أَخِيكَ الَّذِي هَلَكَ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي
بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُوا بِلَادِي فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا (بَنِيَامِينَ)
يَكْتُلُ لِنَفْسِهِ كَيْلَ بَعِيرٍ آخَرَ زِيَادَةً عَلَىٰ كَيْلِ أَبَاعَرْنَا وَإِنَّا لِحَافِظُونَ لَهُ مِنْ
أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ فِي سَفَرِهِ

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا
مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾

فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ : هَلْ آمَنَكُمُ عَلَىٰ أَخِيكُمُ مِنْ أَيْكُمُ الَّذِي
تَسْأَلُونَنِي أَنْ أَرْسَلَهُ مَعَكُمْ إِلَّا كَمَا آمَنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ؟ فَاللَّهُ
أَرْحَمُ رَاحِمٍ بِخَلْقِهِ، يَرْحَمُ ضَعْفَىٰ عَلَىٰ كَبِيرِ سِنِي وَوَحْدَتِي بِفَقْدِ وَلَدِي فَلَا
يَضِيعُهُ وَيَحْفَظُهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ عَلَىٰ لِرَحْمَتِهِ بِي فَهُوَ خَيْرُ الْحَافِظِينَ

﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

ولما فتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم (أى فضتهم) التي كانوا دفعوها
ليوسف فى مقابل ما أخذوه من الطعام كما هى لم تمس، فقالوا لأبيهم :
يا أبانا ما نبغى؟ (أى ماذا نريد بعد هذا) هذه بضاعتنا ردت إلينا فإذا
سمحت بأخينا (بنيامين) ليذهب معنا فإننا نغير (أى نشترى طعاماً لأهلنا)
ونحفظ أخانا ونزداد على أحمالنا من الطعام حمل بعير لئسكال لنا، وهذا شئ
يسير عند الملك الذى طلب أخانا

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا
يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ بَسِيرٌ ﴾

فقال يعقوب لبنيه : أن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر حتى
تعطوني ميثاقاً وعهداً من الله بأنكم تأتوننى بأخيك إذا لم يصبكم أمر
يذهب بكم جميعاً فيكون ذلك عذراً لكم عندى
فلما أعطوه عهدهم على الوفاء بما اشترطه عليهم قال يعقوب : إن الله
على ما نقول (أنا وأنتم) وكيل أى شهيد علينا بالوفاء

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ

إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتِيهِمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُونَ وَكِيلٌ ﴿١٠١﴾

فلما أرادوا الخروج من عند أبيهم إلى مصر ليمتاروا الطعام أوصاهم - بعد أن أذن لأخيهم في الرحيل معهم - وقال لهم : يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة ، وكانوا ذوى جمال وآبئة فخاف عليهم الحسد من أعين الناس لهيبتهم ، ولأنهم أبناء رجل واحد ثم قال لهم : لا أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد يكون قدره عليكم من شئ صغير ولا كبير لأن القضاء والحكم لله دون سواه

فلا راد لقضائه، ولا دافع لقدره، فعليه توكلت ووثقت به فى حفظكم

حتى يردكم إلى سالمين، وعليه فليتكامل المتوكلون

﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمْتُكُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

رجوعهم إلى مصر ومعهم بنيامين ودخولهم على يوسف

فدخلوا مصر كما أمرهم أبوه من أبواب متفرقة، وما كان ذلك ليمنع عنهم قضاء الله فيهم، إنما هى حاجة فى نفس يعقوب قضاها، أى أنهم قضوا وطراً يعقوب وإنه لذو علم مما علمه الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه (أى ضم إليه أخاه لأبيه وأمه) لأنه عرفه وأنزلهم منزلاً رجباً وأجرى عليهم الطعام والشراب وأكرم ضيافتهم وقال لأخيه : أنا أخوك فلا تحزن على ما كانوا يعملونه فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما قلته لك

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

حيلة يوسف في إبقاء أخيه بنيامين عنده

ولما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم جعل السقاية (الإناء الذى يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام) فى رحل أخيه أى فى متاع أخيه وهو لا يشعر، فلما أرتحلوا مسافة قصيرة نادى مناد قائلاً : أيتها العير أى (القافلة التى فيها الأحمال) إنكم لسارقون قهوا، وأنتهى إليهم رسول يوسف ووكيله وأخذ يوتخيم ويقول لهم : ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ومحسن منزلتكم ونفعل بكم ما لم نفعل

بغيركم وأدخلناكم علينا في بيوتنا وأنتم تسرَقون ؟

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَدْنَىٰ
مُؤَدِّي أَيْتِيهَا الْعِيرَ لَكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾

قال إخوة يوسف ما الذي تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك (الإناء
الذي يشرب فيه) فمن جاء به له حمل بعير من الطعام وأنا الكفيل بالوفاء إليه
﴿ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ قَالُوا نَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ
وَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾

فقال إخوة يوسف : والله ماجئنا لنفسد في الأرض، وما نحن بسارقين
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
سَارِقِينَ ﴾

وقال أصحاب يوسف لإخوته : ماجزاء من توجد في متاعه سقاية
الملك إن كنتم كاذبين ؟

قالوا : جزاء من توجد في رحله سقاية الملك أن يؤخذ عبداً له
فكذلك جزاء الظالمين

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ
فِي رِحْلِهِ فهُوَ جَزَاؤُهُ كَلَّا لَئِنْ نَجَّيْنَا الظَّالِمِينَ ﴾

ففتش الرسول أوعيتهم ورحلهم قبل وعاء أخيه (بنيامين) مبتدئاً بالكبير
ومنتهياً بالصغير فوجد السقاية في وعاء أخيه فأستخرجها منه فأخذ برقبته
وانصرف به الى يوسف

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾

ويقول الله تعالى ذكره : كذلك علمنا يوسف هذا التدبير الذى به
حصل على أخيه وما كان ليستطيع أن يأخذه على مقتضى شريعة
ملك مصر ؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسرق أحداً
بالسرقة فلم يكن ليوسف أخذ أخيه إلا أن يشاء الله بكيده الذى كاده
له حتى طابت أنفس إخوته بحكمهم عليه بالتسليم

وقد رفع الله درجة يوسف فوق درجة إخوته ، وفوق كل عالم
من هو أعلم منه ، ويعنى بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وإن فوق
يوسف من هو أعلم منه ، حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

فقالوا - وقد ملثوا غيظاً على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة تأنيباً

له : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل

﴿ قَالُوا إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾

ويقصدون بذلك السرقة التي نسبوها ليوسف وهي : أنه رأى صنماً في بيت بعض أقاربه من جهة أمه فأخذه وكسره وأتلفه وأعتبروا ذلك سرقة جيلة بحقيقتها

فأخفى يوسف هذه التهمة في نفسه ولم يجاهرهم بها، وقال في نفسه أيضاً : أتم شر منزلة إذ سرقتموني من أبي، والله أعلم ببلغ صدقكم فيما تقولون

﴿ فَاسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

ولما أراد يوسف عليه السلام أن يحبس أخاه (بنيامين) عنده ورأوا ألا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يطلقه ويعطوه واحداً منهم مكانه بدلا منه وقالوا ليوسف : يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا متعلقا به كلفاً بحبه فخذ واحداً منا بدلاً من بنيامين وأخل سبيله إنا نراك من المحسنين لنا إن فعلت ذلك

﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

فقال يوسف لإخوته : معاذ الله أن نأخذوا إلا من وجدنا متاعنا عنده

فإذا أخذنا غيره نكون إذاً من الظالمين .

وقال لهم : إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام وقولوا له : إن ملك مصر يدعو لك أن تعيش حتى ترى ابنك يوسف

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا

لظالمون ﴾

فلما يئس إخوة يوسف من أخذ أخيه بطريق المبادلة وأن يجيبهم إلى ما سأله خلا بعضهم ببعض يتفاوضون ويتشاورون ثم قالوا : ماذا ترون ؟ قال كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وهو (روبييل) إن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله لتأنته به جميعاً إلا أن يحاط بكم ومن قبل فعاتم هذه الفعلة بتفريطكم في يوسف ؛ فلن أبرح الأرض التي أنا بها (وهي مصر) ولا أفارقها حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ، أي خير من حكم وعدل بين الناس

﴿ فَلَمَّا اسْتِيسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا

أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي

يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

ثم أشار عليهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بما كان من سرقة أخيهم بنيامين لصواع الملك وأنهم ما شهدوا عليه بالسرقه إلا بما علموا عن مشاهدة إذ وجدوا الصواع في أمتعه ولم يكن لهم علم بما هو كائن لهم في الغيب

﴿ اِرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾

وقولوا له : إن كنت متبهما لنا لاتصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق فاسأل القرية التي كنا فيها وهي مصر، والقافلة التي أقبلنا فيها عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقة، وإنا لصادقون فيما أخبرناك ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم بعد حبس بنيامين

فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم وتخاف (روييل) فأخبروه خبر بنيامين على حقيقته فلم يدخل عليه هذا القول ولم يصدقهم وقال لهم يعقوب عليه السلام : بل زينت لكم أنفسكم أمراً همتم به وأردتموه فصبري على ما نالني من فقد ولدي صبر جميل لاجزع فيه ولا شكاية

عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعاً (وهم يوسف وبنيامين وروبيرل)
فيردهم إلى إني هو العليم بوجدتي وبقدمي وحرزني عليهم

﴿ قَالَ بَلْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ بِهِمْ عسى الله
أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم ﴾

ثم أعرض يعقوب عنهم وقال : يا حزننا على يوسف إن الأسف عليه
لشديد، وأخذ يبكي بكاءً حاراً حتى أبيضت عيناه من الحزن وضعف
بصره من شدة البكاء والحزن وهو كاظم غيظه لا يتكلم

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْمَاءُ عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ
الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

فلما رأى ذلك أولاده قالوا له : لا تزال تذكر يوسف، ولا تفتر عن
حبه حتى تكون حرضاً (أي تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك ،
ويديك الحزن) أو تكون من الهالكين

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تذكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾

فلما رأى يعقوب غلظتهم وجفوتهم وسوء لفظهم قال : لست أشكو
اليكم همي وحرزني، وإنما أشكو ذلك إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون
ثم قال لهم : يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جثتم منه وخلفتم إخوتكم

به وتحسسوا و التمسوا يوسف، وتعرفوا من خبره وأخيه بنيامين، ولا تقنطوا
من أن الله يذهب عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف والغم على أخيه
بفرج من عنده، فإنه لا يئس من روح الله (أى لا يقنط من فرجه
ورحمته ويقطع رجاءه منه) إلا القوم الكافرون الذين يجحدون
قدرته على ما يشاء فإنه على ما يشاء قدير وإليه المصير

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْأَسُوا مِنْ رَوْحِ
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

تعرف يوسف بإخوته وعطفه عليهم وأعترفهم بذنبهم

جاء إخوة يوسف إلى مصر كما أمرهم أبوهم، وقصدوا يوسف في مقر
ملكه، فلما دخلوا عليه قالوا: يا أيها العزيز - رجاء أن يرحمهم في شأن
أخيهم - (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة من الجذب والقحط (وجئنا
بيضاة مزجاة) أى قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به إلا أن يتجاوز
لهم فيها (فأوف لنا الكيل) أى أعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد
والدراهم الجائزة الوافية التى لا ترد (وتصدق علينا) أى لا تنقصنا من

سعر طعامك لرداءة بضاعتنا (إن الله يجزي المتصدقين) إن الله يثيب
المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَيْنَا الضَّرَّ
وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

فأما سمع يوسف من إخوته هذا الكلام رقق قلبه لهم وحننت عواطفه
عليهم، وباح لهم بما كان يكتبهم من شأنه وقال لهم : هل تذكرون
ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما وصنعتن ما صنعتن وأنتم جاهلون
بعاقبة ما تفعلون ويوسف وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

﴿ قَالَ هَلْ عَايَنتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

فعند ذلك ذهبت سكرتهم، وتيقظوا وعرفوا الحقيقة وقالوا : إنك
لأنت يوسف، فقال : نعم أنا يوسف، وهذا أخي قد من الله علينا بأن جمع
بيننا بعد ما فرقتم بيننا

فما أ كبر قول يوسف لهؤلاء الإخوة تحدثاً بنعمة الله، وما أعظم نصحه
لهم بقوله : إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أي
إن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه وصبر على بلواه

﴿ قَالُوا أَأَتَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ

عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
عند ذلك لم يسعهم إلا الخضوع والامثال والاعتراف له بأنه قد
انتصر عليهم انتصاراً باهراً وارتفع قدره ولذلك قالوا : تالله لقد فضلك
الله علينا بما أعطاك وحباك وآثرك علينا بالعلم والحلم والفضل، وما كنا في
فعلنا الذي فعلناه بك وبأخيك إلا خاطئين

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فقال لهم : لا تؤم عليكم اليوم عندي فيما صنعتم عفا الله عنكم وغفر لكم
ذنوبكم فهو أرحم الراحمين من تاب من ذنبه وأتاب إلى طاعته بالتوبة
من معصيته

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ ﴾

سؤال يوسف عن أبيه وتوقع الفرج ببلقائه

ثم سألم يوسف عن حال أبيه من بعده فقالوا له : قد هزل جسمه
وضعف بصره من شدة البكاء والحزن ؛ فأعطاهم قميصه وقال لهم :
إذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يرتد بصيراً وجيئوني بأهلكم
جميعاً

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

فلما خرجت القافلة وانفصلت عن أرض مصر متوجهة إلى (كنعان) وكانت نفس يعقوب مطمئنة ولم يتسرب اليها اليأس، وكان يتوقع الفرج بقاء ابنه يوسف بعد طول بعباده وحزنه، عليه هبت ريح فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب فقال لمن حوله من جماعته : إني لأشم ريح يوسف، ولولا خوفي من أنكم تكذبونني وتسفهونني وتنسبون إلي ضعف العقل لأخبرتكم بأنى أتوقع الفرج ببقائه وأنه قريب منا

﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْمِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا
أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾

فقال له أولاده : أيها الرجل تالله إنك من حب يوسف وذكره لفي حطتك القديم، بعيد عن الصواب في اعتقادك أن يوسف باق الى اليوم
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾

البشارة بقرب اجتماع يوسف بأبيه

ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير إلى يعقوب من عند ابنه يوسف وهو المبشر برسالة يوسف وقيل هو (يهودا) ألقى القميص على وجه فعاد

مبصرًا بعينه بعد ما كان قد أصيب بضعف البصر فقال لهم عند ذلك:
ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيرد على يوسف ويجمع بيني
وبينه وأنتم لا تعلمون من ذلك ما كنت أعلمه لأن رؤيا يوسف كانت
صادقة؟

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَدَ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

فقالوا له : يا أبانا أطلب لنا من ربك أن يعفو عنا ويغفر لنا ذنوبنا
التي أذنبناها في حقتك وحق يوسف فلا يعاقبنا بها يوم القيامة إنا كنا في
خطأٍ عظيم فيما فعلناه وقد اعترفنا ذنوبنا

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾

فقال يعقوب لهم : سوف استغفر لكم ربي إنه هو الذي يغفر الذنوب
جميعًا، ويتوب على من تاب، رحيم بالعباد

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

لقاء يوسف لأبيه وإخوته وتفسير رؤياه

استعد يعقوب عليه السلام هو وأولاده وجميع آله فسافروا إلى

مصر . فلما جاءوا إليها دخلوا على يوسف فأوى إليه أبويه (أى يعقوب
وزوجة خالة يوسف) لأن أمه كانت قد ماتت وهو صغير؛ وقابلهم جميعاً
بالاحترام الجزيل وقال لهم : ادخلوا مصر إن شاء الله آمين مما كنتم
فيه من الجذب والمحط

ورفع أبويه على العرش (أى على السرير فى أعلى مكان من مجده)
فخر والله سجداً (أبوه وأمه وإخوته الأحد عشر) سجود تحية لاسجود
عبادة

وكانت نحيبتهم بالانحناء حسب عادة قدماء المصريين فى ذلك الزمان
وأخذ يحدثهم بتاريخ حياته منذ فارقهم

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن
شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)

ثم قال لأبيه : يأت هذا تأويل رؤياى من قبل (أى ان السجود
الذى سجدته أنت وأمى وإخوتى لى تأويل الرؤيا التى كنت رأيتها
من قبل) وهى رؤية الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر لى ساجدين،
قد حققها ربى بسجودكم جميعاً

(وقيل إن المدة التى كانت بين رؤيا يوسف عليه السلام وبين
تأويلها أربعون سنة)

ثم قال : قد أحسن بي ربي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من
البادية من بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي ، وهذا كله من
لطف الله بي و بكم ، إن ربي لطيف التدبير لما يشاء ، علم بوجوه
المصالح ، حكيم بفعل كل شيء على أقصى وجوه الأحكام

﴿ وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي
حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا
يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

شكر يوسف لربه على ما أنعم عليه به

ثم أن يوسف عليه السلام بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط
عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه في الأرض أن يشكر الله
تعالى معلناً نعمته عليه ، وما منحه من ملك وعلم قائلاً : يارب قد آتيتني
من ملك مصر ، وعلمتني تأويل الرؤيا ، يا فاطر السموات والأرض
(أي ياخالقها وبارئها) أنت واهي في دنياي على من عاداني وأرادني
سوء بنصرك ، وتفعدوني فيها بنعمتك ، وترحمني في الآخرة بفضلك

ورحمتك ، أقبضني إليك مسلماً وأنا مسلماً لك أمرى ، وألحقني بالصالحين
من آبائي إبراهيم واسحق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَآبِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

ثم توفاه الله تعالى وكان عمره وقتئذ عشرين ومائة سنة ، وقد أوصى
قبل وفاته أن يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج
بيني إسرائيل الى الشام ودفنه بالقرب من نابلس ، وقيل عند الخليل
عليه السلام والله تعالى أعلم

العبرة في قصة يوسف عليه السلام

إن من يقرأ سورة يوسف عليه السلام وقصته هذه بامعان الفكر،
وتحكيم العقل، وثاقب النظر، يرى أنها عبرة العبر، وعظة العظات،
لأنها مورد غزير المادة، لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة
الطاهرة، ويشرح الاستقامة، وعفة النفس، والصدق والأمانة،
والشفقة والرحمة

هذا يوسف عليه السلام قد تغذى بلبان النبوة، وتعهده أبوه
بالأخلاق النبوية الكريمة، فنشأ نشأةً سالحة، وأحسن من صغره
بمجد آبائه وأجداده فسار على منهجهم، وتمسك بأدابهم وأخلاقهم،
فأنعم الله عليه بالعلم والحكمة والعصمة من الوقوع في الدنيا والرزايا

تقد برهن عليه السلام على أنه ذو نفس كريمة آية، وروح طاهرة
وعزيمة قوية، وأنه حقيقة من أولى العصمة المؤمنين حقاً

تقد اعتمد على مولاه عند كل ضائقة فنجاه، والتجأ إليه عند كل
ملمة فأكرم مشواه، كاد له إخوته فأغرقوه والله أنقذه وأعلاه، كادت له
أمرأة العزيز وأتهمته بالخيانة؛ ولكن الله أظهر براءته، وتوعدته بالسجن
ووافقها زوجها تستراً على عرضه فسجن؛ ولكن الله نصره ورفع شأنه

ركان عليه السلام في السجن داعياً إلى الله بأذنه ، معلناً أن دينه
دين التوحيد ، هو الدين القيم ، واخذ يحث الناس على عبادته فقام
بالرسالة عليه السلام

كان محافظاً على شرفه ، وكان عنده إباء وشمم ، فلم يشأ أن يقال عنه
مجرم ، وأبى أن يخرج من السجن إلا بعد أن يثبت أنه برىء الساحة
نقى الصحيفة ، فأرسل إلى الملك يبسط ظلامته ويطلب إليه إعادة
التحقيق في جريمته ، فلما أجرى الملك التحقيق على وجهه الحقيقي
وظهرت براءته ، رضى بالخروج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة

كان يوسف عليه السلام ، متحلماً بفضيلة الصبر وضرب للناس المثل
الأعلى فيها ، فصبر على إيذاء إخوته له وتجريدهم إياه من ثوبه ولطمه
ولكزه والفقائه في الجب بقصد إهلاكه ، صبر على استرقاقه وبيعه ببيع
الرقيق في بلاد غير بلاده ، وفي قوم يخالفونه لغة ودينًا وخلقا ، بل صبر على
أكثر من ذلك حيث اعتبروه شريراً خانناً إذ باعه ملة مقطوعه بأنحس
الأثمان . شكر على نعمة الله حيث جعله أميناً على خزائن الملك ، فلم
يسئ استعمال المال بصرفه على الشهوات ، بل شكر الله ولسيده ؛ وصبر
عن شهوة الفرج وقد تهيأت له الأسباب المغرية عليها الدافعة إليها ،
فاستعصم وجزع حتى سلم منها متوجهاً بتاج العفة والصبر عن الشهوات .
وقاوم نفسه وقهرها لتمسكه بالدين وكرم النفس والوفاء وعدم خيانة الأمانة

كان عليه السلام عفواً حليماً لأنه عفا عن إخوته حينما أظهروا ندمهم
واعترفوا بذنوبهم وطلب إليهم الغفران من ربه
كان عليه السلام متحلياً بفضيلة الشكر متحدثاً بنعم الله تعالى عليه ،
فانه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخرّ له أبواه وإخوته سجداً
سجود تحية فقال : يأت هذا تأويل رؤياي من قبل (وهي رؤيتي
أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) وقد جعلها ربي
حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البادية ، بعد
أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هر
العلم الحكيم

كل هذا اعتراف منه بشكر الله على نعمه عليه
والخلاصة أن هذه القصة الجميلة عبرة لأولى الألباب ، وعظة بالغة
وهدي ورحمة لكل عبد أواب ، ولقد سماها الله أحسن القصص وقال
عقبها: لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب

١٢ - قصة أيوب عليه السلام

أيوب عليه السلام هو نبي من الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، وقد ذكره المؤرخون أنه رجل من ولد عيص بن إسحاق بن إبراهيم وجاء في الحديث عن وهب : أنه كان رجلاً من الروم قد اصطفاه الله ونبأه وابتلاه في الغنى بكثرة المال والولد ، وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق ، وكانت له أراض واسعة في أرض الشام وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيول والحمر ، إلا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة ، وقد أعطاه الله أهلاً وولداً من رجال ونساء ، وكان برّاً تقيّاً رحيماً بالمساكين ، يطعم المساكين ، ويعين الأرملة ، ويكفل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكراً لأنعم الله ، مؤدياً لحق الله في الغنى ؛ ولكن مع هذا كله قد ابتلاه الله بفقد ماله ، وهلاك أولاده ، فصبر على ذلك الصبر الجميل ، ولم ينقطع عن عبادة ربه وشكره ، ولذا لقب بالصديق ، وضرب به المثل في الصبر ، وفوق ذلك قد ابتلاه الله في جسمه ببلاء عظيم بين الجسد والعظم ، حتى ابتعد عنه الأهل والصديق ، ولم يبق له مال ولا ولد

ولا رفيق ، ولا أحد يقرب منه غير زوجته (رحمة بنت أفرام أو ماس
ابن يوسف وقيل أيا بنت يعقوب) فانها صبرت معه بصدق وإخلاص
وقامت بخدمته . فكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه ، وأيوب لا يفتخر
عن ذكر الله والحمد والثناء عليهما ، والصبر على ما ابتلاه ، ولم يزد هذا
إبلاء إلا رغبة وحباً في الله لصدق يقينه وإيمانه

وقد نزمه المرض سبع سنين وهو لم يضجر ، ولم يفغل عن ذكر الله
فعند ذلك نادى ربه وشكا اليه ما نزل به من الضير وسأله الرحمة وفي
ذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

الأنبياء

فاستجاب الله دعاءه ، وكشف عنه ضره ، وأعاد له ضعف ما كان
ذهب من ماله وولده ، وقد جعل الله ذلك اختباراً له وعبرة لأهل
البلاء ، وعزاء للصابرين ، وتذكيراً للعابدين ، ليعتبروا ويعلموا أن الله
قد يبتلي أوليائه ، ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في
نفسه وماله وأهله من غير هوان به ؛ ولكن اختباراً من الله له ليبلغ
بصبره وحسن يقينه وإيمانه منزلته التي أعدها له الله تبارك وتعالى من
الكرامة عنده في الدار الآخرة وذلك قوله تعالى :

﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ الأنبياء

ولما استغاث أيوب من الشيطان الذي مسه بالبلاء في جسده
وعذبه وأحزنه بذهاب ماله وولده ، نادى ربه فاستجاب له وقال :
إِرْكُضْ بِرِجْلِكَ (أى حركها وأرفعها) فلما ركض برجله نبتت عين
ماء ، فاغتسل منها ، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ، وشرب منيا
فكان له فيها تمام الشفاء .

ووهبه الله ما فقد من أهله ومثله معه رحمة من الله به . وعبرة
لأولى الألباب ليعتبروا ويتعظوا وذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ص
وقيل قد حصل خلاف بين أيوب عليه السلام وزوجته فتكلمت
بكلام أغضبه وكدره ، خلف إذا شفى وبرئ من مرضه ليضربها
مائة جلدة ، ولما أراد أن يبرأ يمينه أمره الله أن يأخذ مائة عود من
أصول السنبيل ويجمعها حزمة واحدة ويضرب بها زوجته ضربة واحدة
فلا بحث في يمينه

ولقد شرع الله تعالى ذلك رحمة به وبها لحسن خدمتها إياه ورضاه

عنها . وهي رخصة في الحدود أكرمها الله بها وحده
وقد أوحى الله اليه بذلك لما يعلمه عنه من الصبر على تحمل البلاء ،
وعده الخروج عن طاعة الله ، ولذا قال عنه : « نعم العبد إنه أواب »
(أى مقبل على طاعتي)

﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأُضْرِبُ بِهِ وَلَا تَحْنُتُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص

وصار أيوب بعد ذلك فى أرغد عيش الى أن توفاه الله . وقيل ان
عمره كان ٩٣ ثلاثا وتسعين سنة

وخلف أيوب ولدا اسمه (بشر) نبأه الله من بعده وكنأه ذا الكفل

١٣ - قصة ذى الكفل عليه السلام

ذو الكفل عليه السلام هو ابن سيدنا أيوب عليه السلام واسمه في الأصل بشر ، وقد بعثه الله نبياً بعد أبيه وسماه ذا الكفل وجاء ذكره في القرآن في سورة الأنبياء ، في قوله تعالى :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء

وجاء في تفسير الطبري عند ذكر هذه الآية ما يأتي :

يعني الله تعالى ذكره بإسماعيل (اسماعيل بن ابراهيم صادق نوحه) وبادريس أخنوخ ، وبذي الكفل رجلاً تكفل من بعض الناس - إما من نبي وإما من ملك من صالحى الملوك ، بعمل من الأعمال ، فقام به من بعده فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين في عباده مع من حمد صبره على طاعة الله وأدخله في رحمته معهم .

وجاء في ذكر الأخبار والأحاديث عنه ، أن نبياً من الأنبياء قال : مَنْ يتكفل لى أن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب : فقام شاب فقال : أنا . فقال اجلس ثم عاد فقال : مَنْ يتكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا . فقال :

اجلس . ثم عاد فقال : من يتكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب . فقال : أنا . فقال : تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب ، فمات ذلك النبي ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس ولا يغضب

فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل (أى ينام بعد الظهر) فضرب الباب ضرباً شديداً فقال : من هذا ؟ فقال : رجل له حاجة فأرسل معه رجلاً فقال : لا أرضى بهذا الرجل ، فأرسل معه آخر . فقال لا أرضى بهذا ، فخرج اليه وأخذ يده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وجاء فى كتاب أخبار الدول ، وآثار الأول انقرمانى ، فى ذكر ذى الكفل عليه السلام ما يأتى :

اسمه بشر بن أيوب عليه السلام بعثه الله تعالى بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فأمنوا به وصدقوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا : يا بشر إنا قوم نحب الحياة ونكره المات ، ومع ذلك نكره أن نعصى الله ورسوله فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ، ولا يميتنا إلا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه ، فقال بشر بن أيوب : لقد سألتموني شيئاً عظيماً . وكلفتموني شططاً جسيماً ، ثم قام وصلى ودعا ربه وقال :

« إلهي أمرتني تبليغ الرسالة فبلغتها ، وأمرتني أن أجاهد أعدائك
وأنت تعلم إني لا أملك إلا نفسي ، وإن قومي قد سألوني فيما أنت أعلم
به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري »

فأوحى الله تعالى إليه : يا بشر إني سمعت مقالة قومك ، ويني قد
أعطيتهم ما سألوني وطولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكان
كفيلا لهم بذلك ، فبلغهم بشر رسالة الله تعالى وأخبرهم بما أوحى إليه ،
وتكفل لهم كما أمره الله تعالى ولذا سمي ذا الكفل

ثم انهم توالدوا وتناسلوا وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنقصت
عليهم معيشتهم ، وتأذوا بكثرتهم ، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن
يردهم إلى آجالهم ، فردهم إلى أعمارهم فماتوا . ولذلك كثرت الروم حتى
يقال : أن الدنيا درهم خمسة أسداسها الروم ، وسموا روما لأنهم نسبوا
إلى جدهم روم بن العيص بن إسحاق

وكان بشراً مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره ٧٥ حساً وسبعين
سنة وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس

١٤ - قصة شعيب عليه السلام

قيل: أن شعيباً من ولد مدين بن إبراهيم ؛ وقيل: أنه لم يكن من ولد إبراهيم إنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى الشام؛ ولكنه ابن بنت لوط

وإن الله سبحانه وتعالى أرسله إلى أهل مدين ، وكانوا أهل كفر بالله وسوء معاملة للناس ، يبخسون الناس أشياءهم في المكييل والموازين وافساد أموالهم . وكان الله قد وسع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره فهو الذي خلقكم وييده نفعكم وضركم ، ولقد جاءكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وبصدق ما أدعوكم إليه ، فلا تنقصوا المكيال والميزان ، ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تفسدوا في الأرض (لا تعملوا في أرض الله بالمعصية) بعد أن قد أصلحها لكم بعث الأنبياء فيكم ليأمروكم بالمعروف وينهوكم عن المنكر فإن ذلك خير لكم في دنياكم وأخراكم إن كنتم مؤمنين بقولي

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ

وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف

وكانوا من قطاع الطريق على من يريد الايمان . يجلسون في
الطريق يخوفون الناس ويخبرونهم أن شعباً كذاب فيصدون الناس
عن الايمان به . فهاهم شعيب عن ذلك وقال لهم : لا تقعدوا بكل
صراط تواعدون وتردون عن طريق الله من آمن بالله وصدق به
ووحده ، وتاتمسون لمن سلك سبيل الله وعمل بطاعته طريقاً معوجاً
بعيداً عن الحق مائلاً الى الزيغ والضلال

وذكرهم شعيب بنعمة الله عليهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا
قليلاً عددهم ، وأن رفعهم من الذلة والخسة ، ودعاهم الى شكر الله
الذي أنعم عليهم بذلك والاخلاص له في العبادة إتقاء لعقوبته بالطاعة
اليه ، وحثراً من تقمته بترك المعصية ، ووجه نظرهم الى عاقبة المفسدين
قائلاً لهم : انظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين خرجوا على
ربهم وعضوا رسله من العذاب والنقم ، وكيف كانت عاقبة عصيانهم
إياه ؟ ألم يهلك بعضهم غرقاً بالطوفان ، وبعضهم رجماً بالحجارة ،
وبعضهم بالصيحة والصواعق المحرقة ؟ ونصح اليهم بالاعتبار بأحوالهم

إذا لم يريدوا أن ينتهوا إلى مثل نهايتهم . وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ
وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال لهم : إن كانت جماعة منكم صدقوا بالذي أرسلت به من
إخلاص العباد لله وترك معاصيه . وظلم الناس وبخسهم في المكاييل
والموازين فاتبعوني على ذلك ؛ وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم
يتبعوني عليه . فاصبروا حتى يحكم الله فهو خير من يفصل ويعدل
بيننا وبينكم

﴿ وَإِنْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
الأعراف

مجادلة أهل مدين لشعيب ومحاجته بهم

لما قام شعيب بدعوة أهل مدين الى الله والى توفية المكيال والميزان بالقسط ، وحفظ حقوق الناس وعدم أكلها بالباطل ، ونهاهم عن الفساد فى الأرض قائلهم : إني أراكم بخير وقد وسع الله عليكم رزقكم واني أخاف عليكم بخالفتكم أمر الله أن ينزل بكم عذاب يحيط بكم وأن ما أبقاه الله لكم من المباحات خير لكم من المحظورات التى نهاكم عنها . قالوا له متهمين به : أصلاتك تأمرك أن تترك ما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام والآلات تصرف فى أموالنا على ما نشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس فى الكيل والوزن ؟ إنك لأنت الخليم الرشيد الذى لا يحمله الغضب على أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حالة الرضا

﴿ وَإِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ نَفْعَلُ

فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿ هود

فحاجهم شعيب وقال لهم : يا قوم أرايتم ان كنت على بيان وبرهان
وحجة من ربي فيما أدعوكم اليه من عبادته والبراءة من عبادة الأوثان
والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ، ورزقني منه رزقاً حسناً
حلالاً طيباً ، وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل أفعل
ما أمركم به وانتهى عما أنهاكم عنه ؛ لأني لا أريد إلا إصلاحكم وصلاح
أمركم ما استطعت ، حسب قدرتي لئلا ينالكم من الله عقوبة شديدة
وأسأل الله أن يوفقني لما فيه صلاحكم وصلاح أمركم فإنه هو المعين لي
على ذلك ، فقد فوضت أمري اليه وجعلت اعتمادي وتوكلتي عليه

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿ هود

وأخذ يكرر لهم احتجاجه ويقول : يا قوم لا يحملنكم عداوتي
وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان
وبخس الناس في المكيال والميزان ، وترك الانابة والتوبة ، فاني
أخشى عليكم أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الفرق أو قوم هود

من الریح ، أو قوم صالح من الرجنۃ ، وما قوم لوط ببعیدین عنکم فان
فجلاً لولا الیه عبرة لکم ، فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن یصیبکم بشقائی
ومعاداتی لکم مثل الذی أصابهم

﴿ وَیَا قَوْمِ لَا یَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِیْ أَنْ یُصِیْبَکُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمِ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِیدٍ ﴾
هود

ثم طلب منهم أن یتوبوا الیه فإنه رحیم بعباده
محب لهم

﴿ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفَرُ لَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَیْهِ إِنْ رَبِّیْ رَحِیمٌ وَدُودٌ ﴾

هود

فأكثروا جداله وجهدوا جهدهم فی إدحاض دعواه وقالوا له :
یا شعیب إنا لانفهم ولانعلم حقیقة کثیر مما تقول وتخبّرنا به ، وإنا لنراک
ضعیفاً فینا ؛ ولولا أن عشیرتک عزیزة علینا لما تجمعنا وإیاها لحمۃ النسب
لرجنناک وقتلناک فانت لست علینا بعظیم

﴿ قَالُوا یَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِیراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاکَ فِینَا ضَعِیفًا
وَلَوْلَا رَهْطُکَ لَرَجَمْنَاکَ وَمَا أَنْتَ عَلَیْنَا بِعَزِیزٍ ﴾ هود

فراجعهم شعیب وقال لهم : یا قوم ، أعشیرتی أعز علیکم من الله الذی

أرسلني إليكم، وقد جعلتم أوامره منبوذة وراء ظهوركم، لا تأترونها بأمره
ولا تخافون عقابه، ولا تعظمونه حق عظمته، إن ربي محيط علمه بعمليكم
فلا يخفى عليه منه شيء وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ
طِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ هود

واختتم احتجاجه بقوله : يا قوم اعملوا كل ما تستطيعون عمله ضدي ،
وانتم على غاية تمككنكم منه ، فإني من جهتي عامل على الثبات ومصمم
على الطلبات، وهي الدعوة إلى الله وترك عبادة الأوثان وحسن معاملة
الناس وعدم أكل حقوقهم بالباطل

وقصارى القول أنكم سوف تعملون أثنا الجاني على نفسه والمسيء
إليها ، والمصيب في فعله المحسن إليها ؛ ومن منا أيها القوم الذي سيأتيه
عذاب من الله يخزيه ويهينه ؟ ومن منا الكاذب ؟ فانتظروا العذاب
إني معكم من المنتظرين

﴿ وَيَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
رَقِيبٌ ﴾ هود

وكان شعيب في محاجته لهم ونصحه إياهم كخطيب مصقع حتى أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عنه :

ذاك خطيب الأنبياء - لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم . (كما روى

ابن اسحق عن يعقوب بن أبي سلمة)

تهديد أهل مدين لشعيب والمؤمنين معه بإخراجهم من القرية

لما أخرج شعيب قومه بدعائهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وحسن
المعاملة والاستقامة اجتمع طائفة من الرجال الذين تكبروا عن الإيمان
بالله واتباع رسوله شعيب لما حذرهم بأسه على خلافهم وكفرهم قالوا له :
يا شعيب لنخرجك ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك
من قريتنا أو ترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ الأعراف
فقال لهم شعيب : أخرجونا من قريتك وتصدوننا عن سبيل الله
ولو كنا كارهين ذلك ؟

﴿ قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال شعيب لقومه حينما دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها
وتوعدهم بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك : نكون قد

اختلقنا على الله كذباً، وقلنا ما ليس بحق، إن نحن عدنا في ملتكم ورجعنا فيها بعد أن أئقذنا الله منها، بأن هدانا إلى خطئها و صواب ما نحن عليه ولا يتسنى لنا أن نرجع فيها وندين بها ونترك ما نحن عليه من الحق إلا أن يشاء الله ويكون سبق لنا في علم الله أننا سنعود فيها فينفذ فينا قضاء الله وتسير علينا مشيئته، فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به ولا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وإلا فنحن غير عاندين في ملتكم وقد اعتمدنا في أمورنا كلها على الله

ثم لما يئس من إذعان قومه له، وانقطع رجاءه منهم الطاعة والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه، وعلى من تبعه من مؤمنى قومه دعا عليهم فقال: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أى أحكم بيننا وبينهم بحكمك العادل الذى لا ظلم فيه ولا جور، فأتى خير الفاتحين الحاكمين .
وذلك قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف

فقلت الجماعة الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في

غيهم وطفيانهم من قومه للآخرين منهم :

لئن اتبعتم شعيباً فيما يقول وأجبتهم إلى ما يدعوكم إليه من توحيد
الله وأقررتهم بنبوته لتكونن إذا خاسرين مغبونين في فعلكم وترككم
.اتكم وهالكين

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لئنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا

إِنَّكُمْ إِذَا خَاسِرُونَ ﴾ الأعراف

فأما كذبوه وتوعدوه بالرجم والطرده من بلادهم وعتوا عن أمر الله
أخذتهم الرجفة (الزلزلة) المحركة لعذاب الله فأصبحوا في دارهم راكعين
(جائمين) على ركبهم وأهلكهم الله وأبادهم فصارت قريتهم خاوية
منهم كأن لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها ؛ وكانوا الهالكين الخاسرين

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا

شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾

الأعراف

أما شعيب فقد نجاه الله والذين آمنوا معه برحمته فأدبر عنهم ساخطا
حينما أتاهم عذاب الله وقال لهم لما أيقن بنزول نعمة الله بقومه الذين
كذبوه وكفروا بآيات الله :

يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وأديت اليكم ما بعثني به من تحذيركم

غضبه على إقامتكم على الكفر وظلم الناس وأكل حقوقهم بالباطل

ونصحت لكم بطاعة الله ونهيته عن معصيته ، وإني ليحزنني عدم قبولكم نصحي وأتألم لعذابكم

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَعَدَأُ بَلِّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ الأعراف

ثم عاد فقال : كيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم ؟

﴿ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الأعراف

شعيب وأصحاب الأيكة

بعد أن أهلك الله أهل مدين لكفرهم به وعدم اتباع رسولهم ونجى شعيباً والذين آمنوا معه أرسله الى أصحاب الأيكة (وهي غيضة تنبت ناعم الشجر الملتف بالقرب من مدين تسكنها طائفة من عباد الله)

وكان شعيب أجنبياً عنهم ، وكانوا على مثل طريقة أهل مدين من تكذيب شعيب وعدم الاذعان لأمره إذ قال لهم : إني لكم من الله رسول أمين على وحيه فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون
ترشدوا

ولست أسألكم على نصحي لكم من جزاء أو ثواب فما جزائي

ووابى على ذلك إلا من رب العالمين، فأوفوا الناس حقوقهم من الكيل
ولا تكونوا من المخسرين؛ ووزنوا (بالتسطاس) بالميزان المستقيم الذي
لا يبخس فيه الوزن على من وزتم له، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في
الكيل والوزن، ولا تكثروا في الأرض الفساد واتقوا الله الذي خلقكم
وخلق من تقدمكم من الخلائق

(كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ
أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ السَّمِيعِ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ) الشعراء

فقالوا له : إنما أنت يا شعيب مختل العقل بالسحر المتكرر ، ونست
ملكاً وما أنت إلا بشر مثلنا تأكل وتشرب ، وما نحسبك فيما تخبرنا
وتدعونا إليه إلا ممن يكذب فيما يقول ، وطلبوا منه برهاناً ودليلاً على
ذلك بأن قالوا :

إن كنت صادقاً حقاً فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فاسقط
علينا (كسفاً) قطعاً من السماء

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الشعراء

فأجابهم شعيب قائلاً : إن ربي أعلم بأعمالكم محيط بها لا يخفى عليه شيء منها وهو مجازيكم عليها

﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الشعراء

فلما كذبوه أخذهم الله بعذاب « يوم الظلمة » بأن سلط عليهم الحرَّ سبعة أيام حتى غلت مياههم، ثم ساق إليهم سحابة فاستظلوا تحتها من شدة الحرِّ المنبعث عليهم فأمرت عليهم ناراً فأحرقتهم وأهلكتهم وسمى هذا اليوم يوم الظلمة، وكان عذاب يوم الظلمة عذاباً عظيماً لهم وكان في ذلك دليل وحجة لهم لو أنهم كانوا يرشدون، وما كان أكثرهم بمؤمنين

وإن الله هو العزيز في نعمته ممن التقم منه من أعدائه ، الرحيم بمن تاب من خلقه وأتاب إلى طاعته

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشعراء

١٨ - داود عليه السلام

نسبه - هو كما جاء في الإنجيل - داود بن يس بن عويد بن يوعز
ابن سامون بن نجشون . بن عميناداب . بن آرام . بن حصرون . بن
قارص . بن يهوذا . بن اسحق . بن إبراهيم عليه السلام .

داود ملكاً قبل أن يكون نبياً

قد جعل الله داود ملكاً على بني إسرائيل بعد قتل ملكهم
(طالوت)

والأصل في تعيين (طالوت) ملكاً عليهم ، أنه كان قوم يقال لهم
(العمالقة) ، يسكنون بين مصر وفلسطين ، غزوا بني إسرائيل آذاهم بأس
الحرب ، وكان لهم ملك يقال له (جالوت) فطلب بنو إسرائيل من نبي
هم يقال له (صمويل أو شمويل) أن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى
قتال أعدائهم الذين أذلوهم دهرًا طويلًا ويدافع عنهم ضد من يريد
الإغارة عليهم

وكان (صمويل) عالمًا بعقلية بني إسرائيل وعاداتهم وما انطوت عليه
أنفسهم فقال لهم : أخشى إن كتب عليكم القتال أن تجبنوا ولا تقاتلوا
وآلا تفوا بما تعدون الله به من أنفسكم من الجهاد في سبيله فإنكم أهل

غدر وقلة وفاء بما تعدون . فقالوا لنبيهم : وأى شئ يمنعنا أن نقاتل في سبيل الله عدونا وعدو الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بالقهر والغلبة؛ فلما فرض عليهم قتال عدوهم والجهاد في سبيله جنوا وأدبروا ومولين عن القتال وضعوا ما سأله نبيهم من فرض الجهاد إلا قليلا منهم فقد ثبت على الجهاد والله عليم بمن ظلم نفسه منهم وأخلف وعده وخالف أمر ربه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أُبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْنَ كُفْرًا أَنْ تَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ البقرة

وقال لهم نبيهم (شمويل) إن الله قد أعطاكم ما سألتكم وبعث لكم (طالوت) ملكا

فلما قال لهم نبيهم ذلك . قالوا : أتى يكون لطالوت الملك علينا وهو من سبط بنيامين بن يعقوب وسبط بنيامين لا ملك فيهم ولا نبوة؛ ونحن أحق بالملك منه، لأننا من سبط يهوذا بن يعقوب ولم يؤت كثيرا من المال؛ لأنه كان فقيرا وقيل : أنه كان سقاء أودباغا

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا
أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
مِنَ الْمَالِ ﴾ البقرة

فقال لهم نبيهم : إن الله اصطفاه عليكم واختاره لكم ، وبسط له في
العلم والجسم ، وآتاه من العلم فضلاً كبيراً على ما أوتي غيره ، وإن الله يؤتي
ملكه من يشاء ، فيضعه عنده ويخصه به ويمنحه من أحب من خلقه ، فلا
تستكبروا يا معشر القوم من بنى إسرائيل ، أن يبعث الله (طالوت) ملكاً
عليكم وإن لم يكن من أهل بيت المملكة ، فإن الملك ليس بميراث عن
الآباء والأسلاف ؛ ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه ، فلا تتخيروا
على الله ، والله واسع فضله فيمنم به على من أحب ، ويريد به من يشاء
عليه من هو أهل للملكه

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة

فقالوا له : إئت لنا بآية تدل على ذلك إن كنت من الصادقين .
فقال لهم : إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وهو الصندوق المحفوظ
فيه التوراة الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوا لهم قدموه أمامهم

وزحفوا معه فلا يقوم لهم معه عدد ولا يظهر عليهم أحد على صورة خارقة للعادة قيل انه رأس إنسان على جسم سمكة محمولا على أيدى الملائكة) فتى رأيتموه سكن فؤادكم وأطمأن بما فيه من آثار الأنبياء مما ترك آل موسى وآل هارون . وان ذلك لعلامة ودلالة أيها القوم على صدقي فيما أخبرتكم به إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة

فحينما رأوا التابوت صدقوا عند ذلك نبيهم ، وأقروا بأن الله قد بعث (طالوت) ملكا عليهم وأذعنوا له بذلك

فلما خرج بهم (طالوت) بجنوده لقتال العدو من بيت المقدس ، وقيل كان عددهم ٨٠ ثمانين ألف مقاتل ، ولم يتخلف من بنى إسرائيل عن الخروج معه إلا من كان ذا علة ، أو كبيراً له ربه ، أو معذوراً لا طاقة له بالنهوض معه ، وقال لهم طالوت : إن الله ممتحن طاعتكم وإخلاصكم بنهر تصادفونه (وكان الوقت حراً وعطشوا وشكوا اليه قلة المياه بينهم وبين عدوهم وسألوه أن يدعو الله لهم أن يجري بينهم نهراً)

قيل: أنه نهر بين الأردن وفلسطين، فمن شرب من مائه فليس هو من أهل الله ولا من المؤمنين به ولا بأقمانه، ومن لم يشرب الماء من ذلك النهر ولم يذقه، فهو من أهل ولايته وطاعته، إلا من اغترف منه غرفة بيده، فتلك مسموح بها لتسكين شدة الظأ، فشرب القوم على قدر يقينهم. أما الكفار فجعلوا يشربون فلا يروون، وأما المؤمنون فجعل الرجل يغترف غرفة بيده فترويه

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ البقرة

فلما رأى (طالوت) ذلك أخذ الذين صدقوا واتبعوا أمره وترك الذين لم يصبروا على ابتلاء الله إياهم وعبر بهم النهر

فلما قربوا من جيش (جالوت) ملك العالقة وأبصروا ما هم عليه من الكثرة واستكمال العدة قالوا: لا طاقة لنا اليوم بقتال هؤلاء، فثبت الذين يعتقدون أنهم راجعون إلى ربهم أن استشهدوا في القتال وقالوا كم من جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ البقرة

ولما برزوا لجيش (جالوت) دعوا الله قائلين : ربنا أنزل علينا صبراً
من عندك ، وثبتت أقدامنا ، وأنصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم
بإذن الله

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَوَثِّبْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
البقرة

قتل جالوت بيد داود

وكان من حاضري الحرب (داود بن يسي) وكان صغيراً يرعى الغنم
لافضل فيه للحرب ، ولكن أباه أرسله إلى إخوته الثلاثة الذين مع
(طالبوت) ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم ، فرأى (جالوت) وهو يطلب المبارزة
والناس قد خافته لما ملأ نفوسهم من هيئته ، وتيقن كل مبارز له أنه
هالك لا محالة

فسأل داود عما يكافأ به قاتل هذا العدو الجبار الفسلفي : فأجيب
بأن الملك يعطيه نصف ملكه ، ونصف كل شيء يملكه

فانطلق داود إلى طالبوت وقال له : إنك قد جعلت لمن يقتل
جالوت نصف ملكك ، ونصف كل شيء تملكه أفلى ذلك إن قتله ؟

قال له : نعم ؛ والناس يستهزئون بـداود وإخوته أشد من هنالك
عليه ؛ فألبسه طلوت درعا وأمره أن يتقدم

فتقدم داود الى جالوت وبعد كلام معه رماه بحجر فقتله
فقال داود لطلوت : أوف بما جعنت لي ؛ فأبى طلوت أن يعطيه

ذلك

فانطلق داود فسكن مدينة من مدائن بنى إسرائيل حتى مات طلوت
فلما مات عمد بنو إسرائيل الى داود فجاؤا به وملكوه وأعطوه
خزائن طلوت وقالوا : لم يقتل جالوت إلا نبي . وكافأه الله بأن جعله
ملكاً على بنى إسرائيل ، وأعطاه الحكمة وعلمه مما يشاء من صناعة
الدروع ؛ قال تعالى :

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا

يَشَاءُ ﴾ البقرة

داود نبيا ومعجزاته ونعم الله عليه

لما ملك داود بنى إسرائيل جعله الله نبياً وملكاً . وكانت بلاد
القدس قاعدة ملكه ومقر سلطنته ، وأنزل عليه الزبور (وجميعه حكم
ونصائح ومواعظ وأدعية وأناشيد ، وليس فيه شيء من الأحكام
الشرعية) كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

الإسراء

وكان يقرأ الزبور بصوت جميل . فإذا سمع صوته مريض برى ، وكانت تجتمع عليه الانس والجن والوحوش عند ما يقرأ بصوته الحسن ويسكن الريح ويركد الماء ، وكان اذا سبح سبح معه الجبال والطيور أيضا ؛ وكان إذا أمسك الحديد يلين في يده ويصير كالطين المبلول ، يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد

وكان يصنع الدروع (وهو أول من صنعها) وصنع حلقاتها ونسجها من الصفائح ، ومع هذا كله كان يعمل هو وأتباعه بطاعة الله ، وكان الله بصيراً بما يعملون ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْخَلْدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سبأ

وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة ، فكان يقوم الليل ويصوم نصف النهار ، وكان مطيعاً لله ، يرجع عما يكرهه الله الى ما يرضيه ، ولذا قد سخر له الله الجبال تسبح معه من وقت العصر الى الليل ووقت الضحى

فكان اذا سبح سبحت معه الجبال ؛ وسخر له الطير يسبحن معه
ايضا محشورة ومجموعة له ، وكانت جميعها مطيعة له ترجع إلى أوامره ؛
وقد حفظ الله ملكه وحرسه ، فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة
آلاف ، وأعطاه الله النبوة والحكمة ، أى السنة والفصل فى الخصومات
التي يختصم الناس فيها اليه ، وإصابة القضاء والبيئات ؛ وذلك قوله
تعالى :

﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ ص

قضاؤه وعدله

فمن القضايا التي نظرها وفصل فيها القضية الآتية وهى :
أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث أى
زرع ، والثانى صاحب غنم ، فقال صاحب الزرع : إن غنم هذا الرجل
أكلت زرعى . فحكم داود على صاحب الغنم بأن يعطى لصاحب
الزرع الغنم ، وكان ولده سليمان عليه السلام جالسا بجواره ، وكان عمره
وقتئذ إحدى عشرة سنة ؛ فقال له أبوه : اقض أنت بينهما

فأجاب سليمان أن يسلم لصاحب الزرع الغنم سنة كاملة ليعيش بنسلها
ولبنها وصوفها إلى أن يرجع زرعه كما كان فإذا تمت السنة يردها
لصاحبها؛ فنقدوا حكم ولده سليمان عليهما السلام، وفي ذلك قوله تعالى:

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الأنبياء

أما القضية الثانية فهي: أنه دخل عليه من سور غرفته في يوم خلوته
للعبادة والاحتجاب والحرس على الباب أناس ففرغ منهم، فقالوا له :
لا تخف، نحن خصمان مختصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق
ولا تطغ في الحكم وأهدنا إلى العدل؛ وشرحوا له القضية كما يأتي :
إن هذا أخي في الدين ، له سبع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة
(وهي الأثني من الضأن) فقال ملكني إياها لتكمل نعاجي مائة، وغلبني
في الخطاب بفصاحة لسانه وقوة بطشه

فأجاب داود قائلاً : لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن
كثيراً من المخطيء والشركاء والأصحاب ليغني بعضهم على بعض إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل وجودهم الآن

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى

دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ
فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ
هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا
وَعَرَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى تِعَاجِهِ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴿ ص

الفتنة التي ابتلاه الله بها

لما جاء الخصمان ومن معهما في غير وقت القضاء أضمر داود عليه
السلام عقابهم؛ لأنه ظن أنهم أهل بغي وشر وفساد وأذى؛ ولكن لما
علم عذرهم وأنهم على حق، وأنهم مضطرون لما فعلوا لأن الحجاب
منعهم من الدخول عليه من الباب

لما علم ذلك كله ظن أنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، ليزيده الله
بذلك إيماناً ويقيناً وصبراً واحتمالاً، فيعظم له أجراً، فاستغفر الله وأناب
إليه، وخرَّ راكعاً مدة طويلة وهو يبكي على ما فرط منه، إلى أن غفر الله
له ذنبه وجعله من المقربين إليه في درجة عالية، وله حسن العاقبة في
الآخرة، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص

« وجاء في كتب الفقه أن سيدنا داود عليه السلام أول من صلى
صلاة الظهر حيث تاب الله عليه وقت زوال الشمس فصلى أربع ركعات
شكراً لله لقبول توبته »

ثم قال الله له ناصحاً ومذكراً : يا داود إنا جعلناك خليفة لمن قبلك
من الأنبياء، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع هواك فيضلك
عن سبيل الحق، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله؛ لأن
الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم
بالعمل به فيجورون في الدنيا ويظلمون الناس، لهم في الآخرة عذاب
شديد بما نسوا أمر الله، وبما تركوا القضاء بالعدل يوم الحساب

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ص

وفاة داود عليه السلام

وتوفي داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستة أشهر ودفن في بيت المقدس وكان مدة خلافته أربعين سنة

العبرة من قصة داود عليه السلام

أولاً - أن الله أنعم عليه واختصه بأعمال عجيبة لم يكن نتصدر من مثله؛ لأنه كان غلاماً راعياً للغنم، فقتل الله تعالى على يديه جالوت الجبار الذي تخافه الأبطال، ولم يقاتله بسيف ولا رمح، ولم ينزل إليه بدرع ولا ترس، وإنما قتله بحجر أرسله من المقلاع، فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد

ثانياً - أن الشخص الضعيف لا ينبغي له أن ييأس من النجاح، واحراز أسباب الفلاح، مادام معتصماً بأسباب التقوى والشكر، انعم الله تعالى

ثالثاً - أن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود، ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء، بل لم يزد هذا الأمر إلا تواضعاً، وكان الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر

رابعا - أن طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد لقوله تعالى :
(لَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا زَيْدًا) فان الله تعالى لما رأى طاعة داود
وشكره زاده من نعمه . فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع المسرودة
تتحصن الناس من البأس ، وأنعم عليه بولده سليمان الذى ورثه ملكه
وعلمه وحكمته لقوله تعالى :

(وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ص

بناء بيت المقدس

قيل : أصاب الناس فى زمن داود عليه السلام طاعون جارف
فخرج بهم الى موضع بيت المقدس . فلما وقف موضع الصخرة دعا ربه
فى كشف الطاعون عنهم ، فاستجاب له ورفع الطاعون ، فأتخذوا ذلك
الموضع مسجداً وكان الشروع فى بنائه لأحدى عشرة سنة مضت
من ملكه

وتوفى قبل أن يتم بناءه ، وأوصى الى سليمان ابنه بإتمامه ، وقتل
القائد الذى قتل أخاه (ابشا بن داود) فلما توفى داود عليه السلام ودفنه
سليمان تقدم بانفاذ أمره ، فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناء فاحراً ،
فلما فرغ أتخذوا ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرب قرباناً فتقبله الله منه ،
وكان ابتداءه أولاً بيناء المدينة ، فلما فرغ منها ابتداء بهارة المسجد

١٦ - قصة سليمان عليه السلام

لما توفي داود عليه السلام ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بنى إسرائيل ، وكان عمره ثلاث عشرة سنة ، فسأل الله أن يؤتیه مذكراً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب له وجمع له بين الملك والنبوة كآبیه : وأنعم عليه بنعم كثيرة :

١ - فقد منحه الله الذكاء ، وإصابة الحكم منذ صباه ، وتدل على ذلك قصة الحرث الذي نفشت فيه غم غير أهله ، فقد وفق الى الحكم الأصوب فيها ، وكان ذلك بحضور والده داود (وقد تقدمت في قصته) وهناك قصة أخرى تعزى اليه ، وهي مدونة في كتب المطالعة للأطفال : خرج امرأتان ومعهما صبيان ، فعدا الذئب على صبي إحداهما فاختصمتا في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما

فاختصمتا الى سليمان عليه السلام فقال : اتتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما النصف ، فقالت الصغرى (وهي أم الغلام) أتشقه يا رسول الله ؟ قال : نعم . قالت : لاتفعل ؛ فنصيبى فيه لها ، وأشفقت على ولدها من القتل

فقال عليه السلام : خذيه فهو ابنك وقضى به لها
فبذه القصة تدل على شدة ذكاء سليمان عليه السلام وفراسته
وهو ما يكتسبها بكثرة التجربة . وطول المدة ، بل حصلت بعناية
ربانية والطاق الإلهية ، وإذا قذف الله تعالى شيئاً من أنوار مواهبه
في قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ، ورجح على
ذوى التجارب في كثير من الأسباب

٢ - قد سخر له الريح الشديدة العاصفة تحمل بساطه ، وتجري بأمره
الى الأرض المقدسة التي بارك الله فيها ، وهي أرض الشام ، وذلك
أنها كانت تجرى بسليمان وأصحابه الى حيث شاء تعود به الى منزله
بالشام . وكان الله عالماً بما أعطاه من الملك وبما سخره له من الريح
فهو على كل شيء قدير ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ،
وذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِسْلِيمَانَ الرَّيِّحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء

وكانت هذه الريح تسير وقت الذهاب مسيرة شهر ، ومثلها في
وقت الرجوع ؛ كما قال الله تعالى :

﴿ وَإِسْلِيمَانَ الرَّيِّحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ ﴾ سبأ

٣- قد أخضع له من الشياطين من يفوضون في البحار، ويستخرجون له منها اللآلئ وكريم الأحجار، ويعملون له أعمالاً جلية من البنيان، والتماثيل، والمحاريب، وكان الله لهم حفيظاً؛ وذلك قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ الأنبياء

٤- وقد أسال الله سليمان (عين القطر) وهو النحاس المذاب
٥- وسخر له الجن فتطيعه وتنفذ أمره ويعملون له ما يشاء بإذن ربه من عظيم المباني وضخمها، والعمارات، والتماثيل، والقصور الراسيات التي لا تتحرك من أماكنها يصنع فيها الطعام، والجفان التي كانت واسعة جداً كالحياض، بحيث أن من يعدل من الجن عن أمر ربه ويزيغ عن طاعة سليمان، فإن الله يذيقه عذاب السعير في الآخرة، وفي ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعملُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ سبأ

وقد ذكر الله آل داود بهذه النعم وأمرهم بطاعته شكراً له على

ما أنعم به عليهم من تلك النعم التي خصهم بها دون سائر خلقه، وقليل من عباد الله المخلصون في توحيدده، والقيام بواجب شكره، وفي ذلك قوله تعالى:

﴿ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾

٦ - أكرمه الله بالخيال الجيدة (الصافنات) فكان يحبها ليس لأمر الدنيا وحب النفس وإنما كان يحبها لأمر الله تعالى ليستعين بها على الشدائد تقوية لدين الله وللغزو والجهاد في سبيل الله

وقد جلس وقت العصر وأمر بإحضار الخيل لعرضها عليه، ثم أمر عليه السلام بتسييرها حتى غابت الشمس عن بصره وتوارت، وقد نسي صلاة العصر (النافلة لا الفرض) فقال نادماً متأثراً: إني أحيت وآثرت حب الخيل عن صلاة العصر (النافلة) وقدمت استعراض الخيل وأنا ناس بل قدمته من غير قصد على الصلاة حتى توارت الشمس وغابت بالأفق عن العيون . ولما أتم استعراضها ووجد أنها شغلته وتذكر أن صلاة العصر النافلة فاتته عن وقتها أمر الجند الراكبين عليها أن يردوها إليه فلما عادت أخذ يمسح سوقها وأعناقها (كما يفعل الآن بعض الناس المواعين بحب الخيل) محبة منه لها (كما جاء عن ابن عباس) وتشریفاً لها لكونها من أعظم الأعوان لدفع العدو

ويقول بعض المفسرين أنه أخذ يضرب سوقها وعنقها بالسيف لغيظه من فوات الصلاة بسببها ، ولا يعقل إن نبي الله يعذب حيواناً ويهلك مالا بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها

ولا ذنب لها باشتغاله كما قال الطبري
وكان عليه السلام يفعل ذلك تواضعاً منه . حيث أنه يبشر أكثر
الأمور بنفسه ، ولأنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل وأراضها وعيوبها
(كأعظم طبيب بيطري) وكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها ليعلم
مافيها من مرض أو علة ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ
بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ص

فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسیه

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ وَآخِرِينَ مُتَرَاتِبِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا
فَأْمُنْ أَوْ أْمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص

جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ؛ فقال له صاحبه (الملك الذى يأتىه بالوحى) قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون »

وعلى هذا الحديث يكون تفسير الآية المذكورة الكريمة (كما ذكرها فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالفتاح خليفة فى مجلة الإسلام العدد ١٩ من السنة الثانية) كما يأتى :

قال الله تعالى - بعد ما بين ما كان لسليمان عليه السلام من الملك والخبرة بالخيال، وحب الغزو والرغبة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وإعداد العدة لذلك :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ بن داود عليهما السلام بعظم الملك، وقوة الجسم، وكال الإيمان، حتى وثق بربه كل الوثوق، وجعل إذا طلب أمراً أو شرع فى شئ يعلم يقيناً أنه مجاب ، وأن هذا الأمر حاصل وواقع فحفظاً له عليه السلام، وإعلاء لدرجته، وزيادة فى إيمانه، وتنبهها له على ألا

يترك كل ما يكمله ولو كان مباحاً أو خلاف الأولى لم يجب قوله هذه
المرّة لتركه التفويض باللفظ وإن كان مفوضاً بالقلب

﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ أى شقاً نصف إنسان مع أنه طلب
مائة أو تسعة وتسعين ، أو سبعين أو ستين ، أو أربعين ، فعلم عليه السلام
أن الوثوق التام بالله تعالى من الإيمان ؛ ولكن الأولى والأجدر بالأنبياء
هو التفويض التام باللفظ والقلب لله عز وجل فى كل الأمور .

ثم أنه عليه السلام بعد ما عرف ذلك ﴿ أَنَابَ ﴾ إلى ربه وتاب أن
يقول إلا مفوضاً له عز وجل بالقلب واللسان معاً كما قال الله تعالى .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الكهف
وبعد أن تاب وأناب دعا ربه طالباً للمغفرة والملك العظيم

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ما كانت منى ﴿ وَهَبْ لِي ﴾ من لذنك
﴿ مُلْكاً ﴾ عظيماً أزيد مما معى أستطيع به إعلاء كلمتك والدعوة

إلى توحيدك ﴿ لَا يَنْبَغِي ﴾ أن يكون مثل هذا الملك ﴿ لِأَحَدٍ ﴾
من الأنبياء وغيرهم من بنى إسرائيل ﴿ مِنْ بَعْدِي ﴾ من الاسرائيليين
﴿ إِنَّكَ ﴾ يا مولاي ﴿ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ كثير العطاء لك من فى

فأجاب الله دعاءه وسخر له الريح والشياطين مما لم يكن لأحد من
بعده من بنى إسرائيل

ملحوظة - طلب المغفرة لا يدل على وقوع الذنب ، بل هو لأن
الانسان لا ينفك في حديث نفس وحدث خواطر ، فهو يطلب
المغفرة ليكون على أتم صفاء وخلوص قلب ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :
إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ؛ فهذا الاستغفار من
باب الذكر والعبادة وليس لحدث ذنب ، قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ المؤمنون

وكل هذه النعم التي أعطاها الله اليه هي من عطاء ربه وهبها اليه
وأمره أن يتصرف فيها كيف يشاء ، فيعطى من يشاء ، ويمنع من
يشاء بغير حساب عليه في ذلك ، لأنه قد نال عند ربه الزلفى
وحسن العاقبة

٧ - إن الله تعالى علمه لغة الطير ، ومنحه من جميع النعم قسطاً
وافراً ، وهذا هو فضل الله المبين يؤتیه من يشاء

٨ - وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في مسيرهم
يساقون ويتلاحقون حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى التمل
(م - ١١)

قالت نملة لاختوتها : يا معشر النمل ادخلوا مساكنكم لكيلا يهلككم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم ، فلما سمعها سليمان عليه السلام تبسم ضاحكا من قول النملة وقال : رب اجعلني بحيث أحتفظ بشكر نعمك التي تفضلت بها علي وعلى والدي ، وأن أعمل عملا صالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل

وتعرّف وفود الطير التي كانت تجتمع عنده ، فلما تفقدها لم يجد من بينها الهدد فقال : مالي لا أرى الهدد أهو حاضر ولست أراه لشيء يستره عني أم كان من الغائبين ؟

ووعده بأن يعذبه عذاباً شديداً أو يذبحه عقاباً له وزجراً لأمثاله أو يأتيه بحجة بينة تظهر لى عذره

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ
لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل

سليمان وملكة سبأ (بلقيس)

لما جاء الهدد بعد أن غاب أمداً غير بعيد ، سأله سليمان عليه السلام عن سبب غيبته وتخلفه عن الحضور ، فقال له : علمت ما لم تعلم وجئتك من سبأ بخبر يقين ؛ ثم قال الهدد أيضاً : يا نبي الله إني وجدت امرأة تملك بني سبأ (وهي بلقيس بنت شراحيل) وقد آتاهها الله من كل شيء يحتاج إليه الملك في ترفهم ، ولها عرش عظيم فيه أنواع الزينة والجواهر ، وجدتها وقومها وثنيين يعبدون الشمس ، وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فمنعهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، فهم لا يهتدون إلى سبيل الحق ولا يسلكونه ؛ ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون . وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ فَسَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ
بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل

فلما سمع سليمان كلام الهدد أراد أن يختبره ليعلم إن كان صادقاً
في خبره أم كاذباً؛ فأعطاه كتاباً ليوصله إلى الملكة وقال له : اذهب
بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تنح عنهم وانظر ماذا يقولون ؟

﴿ قَالَ مَنظَرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ
بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

النمل

فذهب الهدد بكتاب سليمان عليه السلام فألقاه على سريرها
فأخذته ؛ ولما قرأته قالت لقومها : يامعشر القوم إني ألقى إلى كتاب
كريم مكتوب فيه « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم »
فالقصد ألا تكبروا على وأتوني منقادين لله بالوحدانية والطاعة

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ
سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴾ النمل

لم نرد الملكة أن تستبد بالإجابة فجمعت رجال دولتها وأهل
مشورتها من الأقبال وغيرهم ، وأعلمتهم بالكتاب وقالت لأشراف
قومها : يا أيها الملأ أشيروا علي في أمرى الذى قد حضرني من أمر

صاحب هذا الكتاب الذي أتى الى فاني لا أقضي أمراً في ذلك
دون مشورتكم فيه

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا
حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ النمل

فأعربوا أنهم لاشأن لهم بالسياسة وأنهم رجال طعان لا غير وقالوا :
نحن ذوو القوة على القتال والبأس الشديد في الحرب ، والأمر أيتها
الملكة اليك في القتال وفي تركه ، فانظري من الرأي ماترين ونحن
طائعون لأمرك :

﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَإَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ النمل

كانت الملكة عاقلة فنظرت في الأمر بعين الروية والفتنة ، ولم
تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة ، فقالت لهم : إن الملوك إذا دخلوا
قرية عنوة وغلبة أفسدوها وخربوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وذلك
باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم وكذلك يفعلون كما قال الله تعالى :
﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ
أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ النمل

ثم عرضت عليهم رأياً آخر وجدته أقرب الى الصواب وقالت لهم :

إني مرسله إلى سليمان بهدية لنختبره بذلك، ولنعرف إن كان هو ملكا أم نبياً؟ فإن يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن تتبعه على دينه؛ وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف، فلننظر ما ذا يقول رسلي عند رجوعهم؟ أقبول وانصراف عنا، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

النمل

فلما جاءت رسلاها إلى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر أنه ليس في حاجة إلى أموالهم، وأنه في حالة حسنة، واتساع ثروة أحسن مما فيه الملكة وقومها، وقال لهم: إن الله آتاني من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل، وإني لا أفرح بهديتكم التي أهديتم إلى بها؛ بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدي إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي؛ لأن الله تعالى مكنتني منها وملكني فيها ما لم يملك أحداً

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ

مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ النمل

ثم توعدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها،

وان عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين وقال لرسول الملكة:
ارجع اليهم ، فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم ، ولا طاقة لهم بها ، ولا
قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم ، ولنخرجن من أرسلكم من
أرضكم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين طائعين مقرين
بوحداية الله

﴿ اِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَالَ لَهُمْ لِيُبَأِوَنُخْرِبَنَّاهُمْ
مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ النمل

فلما جاء الخبر مع الرسل الى الملكة وعلمت عظمة سليمان وقوة
ملكه ، وأشفقت على قومها استقر رأيها على الذهاب اليه في جمع من
رجال دولتها، وجاءت الى (اورشليم) بهدية عظيمة
فلما علم سليمان بعزم ملكة سبأ على زيارته في عاصمة ملكه شيد لها
قصرًا عظيمًا فخماً لاعهد لأهل اليمن بروية مثله

ولما قربت من ديار سليمان أراد سليمان أن يظهر لها من دلائل
عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها ، وأن ترى بعينها ما لم تره في الأحلام
بفعل عجيبة ظاهرة ، وهي : أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه
في ذلك الصرح . فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش وقال
لهم : أيها الملأ أيكم يأتيني بعرش هذه الملكة قبل أن يأتوني طائعين

مسلمين ؟ فقال عفريت من الجن : أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك، وأني عليه لقوى أمين

قال سليمان : أنا أريد أعجل من ذلك

قال رجل من الإنس (عنده علم من الكتاب فيه إسم الله الأكبر الذى إذا دعى به أجاب) أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك (أى قبل أن يرجع إليك البصر إذا فتحت العين) فدعا باسم الله الأكبر وهو عنده ؛ فاحتمل العرش احتمالاً حتى وضع بين يدي سليمان

فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي الذى أفضله على وعطائه الذى جاد به على ليختبرنى ويمتحنى أشكر ذلك من فعله على أم أ كفر نعمته على بترك الشكر له ؛ ويقول الله تعالى لعباده : من شكر نعمة الله عليه وفضله فإنما يشكر طلب نفع نفسه ؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكرها للنفع لهم، لا لاجتلاب نفع من شكرهم إياه، ولا دفع ضرر عنه، وأن من كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، فقد ظلم نفسه، وبخسها حظها، والله غنى عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم ومن كرمه أفضاله على من يكفر نعمه

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ

مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيُّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿ النمل

ولما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ وقدمت هي عليه قال سليمان
لجنده : غيروا هذه المرأة سريرها ، بمعنى أنهم يزيدون وينقصون فيه .
لننظر أتهتدى وتعقل ، فتثبت أنه عرشها أم تكون من الذين لا يعقلون
(أى لننظر إن كانت تعرفه أم لا ؟)

﴿ قَالَ نَكُرُوا هَآءِ عَرْشَهَا نَنظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل

فلما جاءت ورأت العرش قال لها سليمان : أهكذا عرشك؟ فقالت :
كأنه هو . فقال سليمان : وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته
على ما يشاء وكنا مسلمين لله من قبلها .

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا
الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ النمل

وكانت هذه المرأة كافرة من قوم كافرين ، وقد صدّها عن الهداية
للحق وعبادة الله ككفرها بقضاء الله وقدره وعبادتها للشمس والقمر

وكان ذلك من دين قومها وأباؤها فاتبعهم فيه
(وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ
كَافِرِينَ) النمل

ثم قال لها سليمان : ادخلي الصرح ليريها ملكا أعز من ملكها
وسلطانا أعظم من سلطانها (وقيل ان هذا الصرح الذي أمر سليمان
بعمله قد عملته الشياطين من زجاج كأنه الماء يابضاً ثم أرسل الماء تحته
ثم وضع فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس)
فلما رآته حسبته لجة من الماء ، فكشفت عن ساقها لتخوض فيه
لئلا يبتل ثيابها بالماء ، وأخبرت بأن ماظنته ماء إنما هو زجاج
فدعاها سليمان لعبادة الله وعابها في عبادتها الشمس من دون الله
فقالت : رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ،
وأسلمت وحسن إسلامها

(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ
عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) النمل

موت سليمان عليه السلام

كان سليمان عليه السلام يصلي فمات وهو قائم يصلي ، والجن يعملون ولا يعلمون بموته، حتى أكلت الأرضة (وهي دابة الأرض) عصاه، فلما خرَّ على الأرض ميتاً تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ (عصاه) فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ

١٩ - قصة سيدنا إلياس عليه السلام

سيدنا إلياس عليه السلام هو إلياس بن يس بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران قد أرسله الله نبياً ورسولاً إلى قومه من بني إسرائيل الذين كانوا يعبدون صنماً يقال له (بعل) لينصحهم ويدعوهم إلى عبادة الله فقال لهم : أيها القوم ، ألا تتقون الله فتخافون وتحذرون عقوبته على عبادتكم صنماً وتدعون بعلاً رباً، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين الذي هو ربكم ورب آبائكم الأولين، وليس الصنم الذي لا يخلق شيئاً ولا يضر ولا ينفع ؟

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾

الصفات

وجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله وهم لا يسمعون له نصحاً ولا يصدقون له قولاً وكذبوه

فلما رأى إلياس أن بني إسرائيل قد كذبوه ولم يطيعوه وأبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً واستخفى

الياس خوفاً على نفسه من بنى إسرائيل ، وكان حينما كان وجد رزقه ،
وكانوا اذا وجدوا ربح الخبز في دار أو بيت قالوا : لقد دخل الياس هذا
المكان فطلبوه ، ولقى منهم أهل ذلك المنزل شراً ، ثم انه آوى ليلة الى
إمرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له (اليسع بن اخطوب) به ضرٌّ ،
فآوته وأخفت أمره ، فدعا الياس لابنها فعوفى من الضر الذي كان به
واتبع اليسع الياس فأمن به وصدقه ونزمه فكان يذهب معه حينما
ذهب . وكان الياس قد كبر وهرم وكان اليسع غلاماً شاباً (فيزعمون
والله أعلم) أن الله أوحى الى إلياس أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق
ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والشجر
بجس المطر عن بنى إسرائيل (فيزعمون والله أعلم) ان الياس قال :
رب دعني أنا الذي أدعوهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما
هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلمهم يرجعون وينزعون عما هم عليه
من عبادة غيرك ، قيل له نعم . فجاء الياس إلى بنى إسرائيل فقال لهم :
انكم قد هلكتم جهداً وهاكت البهائم والدواب والطيور والهوام
والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور (أو كما قال لهم) فان كنتم
تحبون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله ساخط عليكم فيما أنتم عليه وان
الذي أدعوكم اليه هو الحق ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون
وتزعمون أنها خير مما أدعوكم اليه ، فان استجابت لكم فذلك كما

تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فترعتم ، ودعوت الله
ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت . فخرجوا بأوثانهم
وما يتقربون به الى الله من أجدانهم التي لا ترضى فدعوها فلم تستجب
لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه من
الضلالة والباطل

ثم قالوا لإلياس : يا إلياس ، إنا قد هلكنا فادع الله لنا . فدعاهم
إلياس بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس باذن
الله على ظهر البحر وهم ينظرون ، ثم ترامى اليه السحاب ، ثم أرسل
المطر فأغاثهم فحييت بلادهم وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء . فلم
ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه

فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه اليه فيريحه
منهم ؛ فأذن له الله في مهاجرتهم ففعل ؛ وأوعد الله قومه بأنهم واقعون
في عذاب الله ، إلا عباده المخلصين الذين أخلصهم من العذاب

وقد أثبت الله على إلياس وأبقى له ذكراً حسناً في الآخرين من
الأمم من بعده ؛ لأنه كان من المؤمنين المخلصين المرسلين ، كما يجازى بذلك
أهل طاعته المخلصين في عبادته المحسنين في أفعالهم ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُم مُّخْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات

٢٠ - قصة سيدنا اليسع عليه السلام

لما انقطع إلياس من بني إسرائيل بعث الله (اليسع بن أخطوب بن العجوز) نبياً ورسولاً وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الأنعام :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

فقام مقام إلياس في وعظ ونصح الناس ودعوتهم إلى عبادة الله واتباع الحق، فأصلح من شأنهم وآمنوا به جميعاً، واستمر معهم زمناً إلى أن مات

ثم إن بني إسرائيل من بعد وفاته تركوا العمل بأحكام التوراة وأخذ التابوت منهم، وصاروا يزدادون يوماً فيوماً في الكفر والطغيان فرفع الله تعالى عنهم النعمة والأمن والراحة، وسلط عليهم أعداء ينازعونهم أرضهم وديارهم، فاستولت عليهم الدولة الأشورية وكان قاعدة ملكها (نينوى عاصمة بابل) وفي هذا العصر ظهر يونس عليه السلام .

٢١ - قصة يونس عليه السلام

سيدنا يونس عليه السلام هو ابن (متى) وكان قبل بعثته رجلاً صالحاً يتعبد في جبل في قرية من قرى الموصل يقال لها (نينوى) ؛ وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه الله تعالى إليهم لينهاهم عن المنكر ويأمرهم بالمعروف ويصدحهم عن الكفر ويرغبهم في التوحيد

قال الإمام علي كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثاً وثلاثين سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما (روييل) وكان عالماً حكيماً والآخر (تنوخ) وكان عبداً زاهداً

وقال ابن عباس وابن مسعود رضی الله عنهما : لما يئس يونس من إيمان قومه دعا عليهم فأوحى الله إليه ، ما أسرع ما دعوت على قومك ، إرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى ، فإن أجابوك وإلا فإني مرسل عليهم العذاب ؛ فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام فيهم خطيباً وقال : إني محذركم العذاب إلى ثلاثة أيام إن لم تؤمنوا ، فخافوا وقالوا : إنا لم نجرب عليه كذباً

فلما كانت ليلة الأربعين خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم

ولما أصبحوا تغشاهم العذاب ، فظهرت سحب سوداء في السماء ، وثار
دخان كثيف ، وهبطت السحب بدخانها حتى غشيت مدينتهم .
وآمنوا بالهلاك والعذاب ، فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه ، فقذف الله في
قلوبهم التوبة ، وألهمهم الرجوع اليه عز وجل ، فخرجوا الى العراء
(الخلاء) بأنفسهم ونساءهم وأبنائهم ودوابهم ، وأظهروا الايمان والتوبة
لله تعالى ، وأخلصوا له النية ، وعلت أصواتهم بالدعاء ، وضجوا بالبكاء ،
وتضرعوا الى الله تعالى ، وقالوا : آمنا بما جاء به يونس ، فرحمهم ربهم
واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم ، وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلم
وقد مدحهم الله وقال فيهم : إنهم كانوا مثلاً حسناً ، لأنهم صدقوا
النية ، وتابوا توبة نصوحا ، وآمنوا قبل نزول العذاب ، فحوّله الله عنهم ،
وكشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ومتعهم الله بالنعم
والخيرات الى حين من الدهر

(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَى حِينٍ) يونس

فلما رجعوا الى الذنوب وعادوا الى السيئات وتقضوا التوبة ، رفع

الله عنهم الخير وأنزل بهم القحط والمقت

ولما خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم مكث ينتظر نزول العذاب بهم فلم ينزل ، ولم يعلم أنهم قد تابوا وتاب الله عليهم ، فخشى أن يرجع اليهم لئلا يقتلوه ، فإن من عادتهم قتل من كذب ، ولم تكن له بينة ، وقد أوعدهم وحذرهم العذاب ولم يقع ، فظن أنهم قد يرمونه بالكذب ويقتلونه ، وانطلق ملتجئاً الى ربه مغاضباً قومه الذين يأس من إيمانهم حتى أتى بحر الروم

ولما أتى البحر وجد قوماً يركبون سفينة فركب معهم ودفع الأجر ، فأصاب السفينة ريح كادت تفرقها ، فقال الملاحون : إن فيها عبداً آبقاً (لأن من عادة السفينة إذا ركب فيها آبق لا تسير حتى يخرج منها) فاقترعوا وقالوا : من تخرج القرعة عليه فهو الآبق

ولما اقترعوا وقعت القرعة على يونس عليه السلام فقال : أنا الآبق ، فلم يقبلوا منه ، وقالوا : كيف ذلك ؟ انا نرجو بك الخير والنجاة

واقترعوا ثانية وثالثة والقرعة تخرج على يونس عليه السلام ، فزج نفسه في الماء فابتلعه الحوت ولم يقتله ؛ بل بقي حياً في بطنه ، وهو عليه السلام قد لام نفسه من عدم الصبر حتى يأمره الله بالهجرة أو غيرها

وقد مكث عليه السلام في بطن الحوت ثلاثة أيام حتى أدركه الغم
وأصابه الهم . ونزل به المرض ، فنادى ربه في الظلمات : ظلمة بطن
الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل قائلًا :

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ يَتْرَكُ
الصَّبْرَ حَتَّى تُوْحَىٰ إِلَىٰ مَا أَتَّبَعَهُ وَأَقُومَ عَلَىٰ تَنْفِيذِهِ

فأجاب الله دعاه ونجاه من الغم الذي كان فيه ، وكذلك ينجى
الله المؤمنين به ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ (أى صاحب الحوت) إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ
نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ الأنبياء

فلما استجاب له ربه أوحى إلى الحوت فقذفه على جانب نهر
(الدرجة) ولولا أنه كان عليه السلام من المسبحين الذين يذكرون الله
لبقي في بطن الحوت حيًا أو ميتًا الى يوم القيامة ، ولكن الله جلت
قدرته ونفذت إرادته ، جعل الحوت يقذفه الى وجه الأرض الحالية
على جانب نهر (الدرجة) وهو سقيم خائر القوى ، ضعيف البدن ، نحيف
الجسم مما حصل له ، وأثبت عليه شجرة من (اليقطين) ليستظل بها رحمة

من الله به (وقال أغلب المفسرين: هي شجرة القرع) فكان لا يتناول
منها ورقة إلا أروته لبناً ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَكِنِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَجَدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ سَقِيمٌ وَأُنَبِّئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ الصافات

«وجاء في كتب الفقه : أن سيدنا يونس عليه السلام حين أخرجه

الله من بطن الحوت، وقت غياب الشفق وظهور النجوم، صلى أربع
ركعات شكراً لله لنجاته، فهو أول من صلى صلاة العشاء»

ثم أمره الله تعالى أن يأتي قومه فصدع بأمر ربه فلقى راعياً فسأله
عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم ؛ فأخبره أنهم بخير وأنهم يرجون
أن يرجع اليهم رسولهم، فقال له : أنا يونس . فذهب فرحاً وأخبر قومه
فأسرعوا اليه، وانكبوا على رجليه يقبلونها ، ودخل معهم (نينوى)
فوجدهم قد تابوا وآنابوا، وكانوا يتمنون رجوعه ففرحوا به فرحاً شديداً
فمكث فيهم وكانوا مائة ألف فأكثر، فأمنوا بيونس عليه السلام

وتما جاء به، واتبعوه في كل ما أمرهم به ونهاهم عنه، وهذا إيمان جديد
غير إيمانهم حين رأوا العذاب فمتعهم الله بالنعيم والخيرات الى أجلهم
المسمى فيمن ماتوا على الايمان، أو الى أن عصوا ربهم وخالفوا نبيهم
فيمن جحدوا وأنكروا

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى

حِينَ ﴾ الصافات

٢٢ - قصة زكريا عليه السلام

زكريا عليه السلام ابن (برخيا) هو من ذرية سليمان عليه السلام ، وكان الحبر الكبير في بني إسرائيل ، وهو الذي يقرب القرابان في بيت المقدس ، ويتلو عليهم التوراة ، وكان متزوجا (ايشاع) أخت (حنة) زوجة عمران (بن ماثان) أحد كبار بني إسرائيل ، وكانت (حنة) قد حرمت الولد حتى يئست فتضرعت الى الله تعالى أن يرزقها ولداً ، وقالت : يارب إني جعلت لك نذراً . أن لك الذي في بطني محرراً لعبادتك ، وحبسته لخدمتك وخدمة قدسك ، فتقبل مني ما نذرت لك يارب ، إنك أنت السميع لما أقول ، العليم بما في نفسي ، لا يخفى عليك سر أمري وعلايته ، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ آل عمران

ثم توفي زوجها عمران (ابن ماثان) وهي حامل . فلما وضعت (حنة) قالت : رب إني وضعت الذي نذرته اليك أنثى - والله أعلم بما وضعت - ثم قالت : - اعتذاراً الى ربها مما كانت نذرت في حملها فخرته لخدمة ربها - وليس الذكر يامولاي كالأنثى ؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة

وان الأثنى لاتصلح لدخول القدس، والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعترها
من الحيض والنفاس، وإني سميتها مريم

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ آل عمران
ثم عوذتها بالله من الشيطان وقالت : إني أعيذها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم فاستجاب الله لها فأعادها الله وذريتها من الشيطان
الرجيم . فلا يجعل له عليها سبيلا

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ آل عمران
ثم أخذتها أمها حنة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء
هارون وقالت لهم : دونكم هذه المولودة التي نذرتها، فتنافسوا فيها
لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وتقبلها الله قبولاً حسناً، وأنبتها
نباتاً حسناً وكفلها زكريا فقال لهم : أنا أحق بها منكم ؛ لأنها بنت
خالتي وخالتها (ايشاع) عندي ، فقالوا : نعم ، ولكننا نقترع عليها .
فألقوا أقلامهم في نهر جارٍ (قيل أنه نهر الأردن)

فلما ألقوا أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة ارتفع قلم زكريا
فوق الماء ورسبت أقلامهم ، فأخذها زكريا وكفلها وضمها الى خالتها ،

وربّاهما أحسن تربية حتى كبرت وبلغت مبلغ النساء ، وبنى لها غرفة (محراباً) في المسجد فاعتكفت وصارت تتعبد فيه ، ولم يكن يدخل عليها أحد غير زكريا عليه السلام

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران

فكان كلما دخل عليها زكريا في حجرتها (أى في المحراب) وجد عندها فاكهة وطعاماً ، فكان يسألها عن مصدره فتقول : هو من عند الله ، وأن الله يرزق من يشاء من خلقه بغير إحصاء ولا عدد بحاسب عليه عبده

﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران

فأما رأى زكريا عليه السلام مارأى عند مريم من رزق الله الذى رزقها وفضله الذى آتاها من غير واسطة أحد من الآدميين فى ذلك لها أكبر هذه الكرامة وكان قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ولم يرزق بولد وأمراته (إيشاع) كانت عاقراً ويئس من الذرية فدعا ربه أن يرزقه منها ذرية طيبة مع الحال التى هما بها كما رزقه مريم

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ آل عمران

ثم نادى ربه نداء خفياً لا علناً؛ لأنه لا يريد ظهوراً ولا رياءً فقال :
يا رب لقد وهن عظمي وضعف، وانتشر الشيب في رأسي، ولم أكن
بدعائك يا ربي شقيماً؛ لأنك لم تخيب دعائي إذ دعوتك، وإني خفت بني
عمي وعصيتي من بعدى أن يرثوني بعد حياتي فلا يحسنون خلاقتي، وإن
امرأتي عاقراً لاتلد، فامنحني يا إلهي من فضلك ولياً يلي أمري من صلي
فيخلفني ويرثني من بعد وفاتي، ويرث من آل يعقوب (لأن زكريا
كان من ولد يعقوب) النبوة والعلم ، واجعله يا رب مرضياً مرضاه
أنت، ويرضاه عبادك ديناً وخلقاً؛ وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيماً وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ
وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم

فاستجاب له ربه، فقال له : يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاماً اسمه

(يحيى) ولم نجعل له شبيهاً ولم يسم باسمه أحد من قبل

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ مريم

قال زكريا لما بشره الله بحيي : رب من أين يكون لي غلام وامرأتى عاقراً لا تحملى ، وقد بلغت من الكبر سناً لا يرجى معه الحصول على ولد ؟

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ مريم

فقال الله تعالى لزكريا بحيباً له : الأمر كذلك وهو على هين وسهل لأنى قد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً مذكوراً ، وجعلتك بشراً سوياً ، فكذلك أخلق لك الولد الذى بشرتك به من زوجتك العاقرة مع تقدم سنك ، ووهن عظمك ، واشتعال رأسك بالشيب

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ مريم

فقال زكريا : يارب اجعل لي علامة أستدل بها على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك ليطمئن إلى ذلك
تأجى

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ مريم

فأجابهُ اللهُ سبحانه وتعالى وقال له : علامتك لذلك ، ودليلك عليه ،
ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ وأنت صحيح الجسم لاعلة بك من مرض
ولا خرس يمنعك عن الكلام

﴿ قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ مريم

مخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام
الناس (آية من الله على حقيقة وعده إياه ما وعد) وأشار إليهم بالتسبيح
والحمد والشكر لله في البكور والمساء

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم

ثم لما عاد إلى المحراب : (وكانت امرأته ايشاع قد حملت) فنادته
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : يا زكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه
يحيى . يؤمن بعيسى بن مريم ، ويكون سيد القوم حليما تقيا ، ممتنعاً عن
الشهوات . ومن أنبيائه الصالحين

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران

ثم وضعته فكان من عباد الله الصالحين ومنحه الله الحكيم والنبوة

٢٣ - قصة يحيى عليه السلام

لما ولد زكريا عليه السلام يحيى قال الله له : يا يحيى خذ الكتاب
(كتاب الله الذى أنزله على موسى وهو التوراة) بقوة وجد واحكم
بها فيها

وقد أعطاه الله منذ ضباه أى قبل بلوغ سن الرجال الفهم، الكتاب
الله والحكم به، وذلك رحمة من الله به ومحبة له

وقد طهره الله من الذنوب، وجعله تقياً يتقى الله ويخافه، مؤدياً فرائضه
بجنتها محارمه، مسارعاً فى طاعته، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَدَّثَانَا
مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاَةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم

وقد منحه الله العطف على أبويه، ولذا كان برّاً بهما، مسارعاً فى
طاعتها ومحبتهم، غير عاق لهما، ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة
والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً، يأتمر بما أمر به، وينتهى
عما نهى عنه، لا يعصى ربه، ولا والديه، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ مريم

ولذا حيّاه الله، ووعدته بالسلام والأمان، من أن يناله الشيطان من

السوء بما ينال به بنى آدم في يوم ولادته ، كما أنه وعده بالأمان من
فتنة القبر يوم يموت ، والأمان من عذاب يوم القيامة يوم الفرع الأكبر
من أن يفرعه شيء مما يفرع الخلق

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم

وقيل: إن سيدنا يحيى ولد قبل المسيح بثلاث سنين

قتل يحيى وذكرياء

قيل: كان في عصر يحيى ملك له زوجة عجوز ، وكان معها ابنة من غيره ،
فأراد الملك ويقال له (هرودس) أن يتزوجها فاستفتى يحيى عليه السلام
في ذلك . فأجابه بأنها لا تحل له ، فغضب الملك على يحيى وقتله ، ولما
قتل يحيى وسمع أبوه زكريا بقتله فرَّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس
فأرسل الملك في طلبه وقتله . وقد مات كل منهما شهيداً

ويروى أن يحيى عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة، وقائدهم الى
الجنة ؛ وقيل: أنه مدفون ببيت المقدس ، وقيل بمدينة فلسطين ،
والله تعالى أعلم

انتهى بعون الله الجزء الأول ؛ ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني

ويشمل أولى العزم من الرسل والله الموفق ما السيد علي فسكري

ابن المرحوم السيد

محمد عبد الله

١٥ شوال سنة ١٢٥٢ هـ

٣١ يناير سنة ١٩٣٤ م

تفهيم



الموضوع	الصحيفة	الصحيفة
« سليمان عليه السلام	١٥٤ (١٨)	٣ المقدمة
« الياس	١٧٢ (١٩)	٦ كلمة اجمالية عن الرسل والأنبياء
« اليسع	١٧٥ (٢٠)	صلوات الله عليهم أجمعين
« يونس	١٧٦ (٢١)	١١ (١) قصة آدم عليه السلام
« زكريا	١٨٢ (٢٢)	٢٣ « (٢) ادريس
« يحيى	١٨٨ (٢٣)	٢٦ « (٤) هود
		٣٩ « (٥) صالح
		٤٦ « (٧) لوط
		٥٠ « (٨) اسماعيل
		٦٣ « (٩) اسحق
		٦٧ « (١٠) يعقوب
		٧١ « (١١) يوسف
		١٢٠ « (١٢) أيوب
		١٢٤ « (١٣) ذى الكفل
		١٢٧ « (١٤) شعيب
		١٤٠ « (١٧) داود

تفهيم:

أما قصة نوح عليه السلام رقم (٣)
وقصة ابراهيم عليه السلام « (٦)
« موسى « (١٥)
« هرون « (١٦)
« عيسى « (٢٤)
« محمد « (٢٥)
فجميعها في الجزء الثاني الخاص بأولى
العزم من الرسل عليهم السلام
في المبدأ والختم

كتب أخرى للمؤلف

السَّمِيرُ الْمُهَيَّبُ

في أربعة أجزاء

كتاب جمع من القصص الدينية التهديبية عن السلف الصالح ،
والحكايات الخلقية ، والأمثال الأدبية الوعظية ، والموضوعات
الاجتماعية ، مافية غذاء لنفوس الأبناء ، وتهذيب أخلاقهم ، وعبرة
للآباء . وهو مطبوع بمطبعة الحلبي ويطلب منها مباشرة

مرآة الأشياء

كتاب صغير الحجم غزير المادة ، كثير الفائدة ، يشمل معلومات
مفيدة للأطفال ويعد بمثابة دائرة معانٍ صغيرة لهم

البنات

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية ، والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال ، وجيل الأعمال ، التي يكونون بها رجالاً في المستقبل ، نافعين لأنفسهم ، ووطنهم ، وأسرتههم .

البنات

كتاب لتربية البنات تربية إسلامية حقة ، في أدوار حياتهن المنزلية ، والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيرا من الحكايات التهذيبية والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيدة مهيبة ومديرة عاقلة ، وامرأة صالحة نافعة لأمتها وأسرتهما .